

ویدان
عزوة بن الوليد
أمير الصعاليك

در استی و شریع و تحفینے
أسماء أبو بكر محمد

منشورات
محمد علی بیضی
دارالکتاب العلمیة
بیروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة

جميع حقوق الملكية الادبية والفنية محفوظة لدار الكتب

العلمية بيروت - لبنان ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة

أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو مجزأً أو تسجيله على أشرطة

كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته على اسطوانات

ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً.

Copyright ©

All rights reserved

Exclusive rights by DAR al-KOTOB al-ILMIYAH Beirut - Lebanon. No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

العنوان : رمل الظريف، شارع البحري، بناية للكرات

تلفون وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦١١٢٥ - ٦٠٢١٣٣ (١ ٩٦١)

صندوق بريد : ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

DAR al-KOTOB al-ILMIYAH

Beirut - Lebanon

Address : Ramel al-Zarif, Bohatory st., Melkart bldg., 1st Floore.

Tel. & Fax : 00 (961 1) 60.21.33 - 36.61.35 - 36.43.98

P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

إهداء

إلى أبي الذي علمني معنى العطاء رغم كل الصعاب والظروف..
إليه أهدي ديوان «عروة بن الورد» أمير الصعاليك
الذي عرف معنى العطاء قولاً وفعلًا...

أسماء أبو بكر محمد

توطئة

«الشاعر يرى الجمال في كل شيء يتناوله سمعه وبصره، حتى في الزهرة الذابلة، والنبتة الحائلة، والنحلة الطائرة، والفراشة الحائمة، وفي مدارج النمل، وأفاحيص القطا، والتؤى المتهدم، والجدث البالي، والشبح المخيف، والخيال الرائع، وفي الضفدعة الملقاة على شاطئ البحر، والدودة الممتدة في باطن الصخر، فهو من خياله الواسع في نعمة دائمة لا تنفد ولا تبلى.

أيها الشاعر: أنت كالطائر السجين في قفصه، فمزق عن نفسك هذا السجن الذي يحيط بك، وطر بجناحك في أجواء هذا العالم المنبسط الفسيح، وتنقل ما شئت في جنباته وأكنافه، واهتف بأغاريدك الجميلة فوق قمم جباله، ورؤوس أشجاره، وضيف أنهاره، فأنت لم تخلق للسجن والقيد، بل للهتاف والتغريد».

[مصطفى لطفي المنفلوطي

في ترجمة لرواية «ماجدولين»]

القسم الأول

دراسات وإيضاحات :

- ١ - أمير الصعاليك - رحلة حياة
- ٢ - عروة بن الورد في تراثنا الأدبي .
- ٣ - حول الديوان وخطة درسه وتحقيقه
- ٤ - في العصر الجاهلي عاش عروة بن الورد [إطلالة ، ورؤية]
- ٥ - حول الصعلكة والصعاليك - دراسة أدبية .

١ . أمير الصعاليك: رحلة حياة

● هذا هو عروة :

يعتبر عروة بن الورد بين الشعراء العرب ، أحب الشخصيات وأكثرها جاذبية ، ذاك لما اشتمل عليه شعر هذا الشاعر الجاهلي الفطري من آداب إنسانية رقيقة ، وأخلاق الفارس النبيل الكريمة المعطاءة ، مع جودٍ بعيد عن التكلف والافتعال ، وروح تعطي المحتاج الفقير تتجلى في كل ما كان يقدمه للناس من إحسان ويبدله من عطف وكرم تجاه الصعاليك والضعفاء والمساكين والمرضى ؛ وهذا ما جعل الخليفة الأموي (الذواقة للأدب) معاوية بن أبي سفيان يقول :

«لو كان لعروة ولدٌ لأحببت أن أتزوج إليهم» .

عروة الذي حمل الخليفة عبد الملك بن مروان على أن يقول :
«ما يسرني أن أجد من العرب مِمَّن ولدني لم يلدني ؛ إلا عروة بن الورد
لقوله :

إني امرؤ عافى إنائي شركةً وأنت امرؤ عافى إنائك واحدٌ»

● الفارس الصعلوك :

كان عروة بن الورد فارساً من فرسان الجاهلية المعدودين ، كما عرفه الأصفهاني صاحب الأغاني في حديثه عنه ، وصعلوكاً من صعاليكها المعدودين

المقدمين الأجواد، ولقب بعروة الصعاليك لأنه كان يجمع صعاليك العرب ويقوم بأمهم، فيرعى أحوالهم، إذا أخفقوا في غزواتهم ولم يكن لهم معاش ومغزى، وقيل لقب بذلك لقوله:

لحى الله صعلوكاً، إذا جنَّ ليُّه، مصافى المشاسن آلفاً كل مجزرٍ
يعد الغنى، من دهره، كل ليلةٍ أصابَ قراها من صديقٍ ميسرٍ
ولله صعلوكٌ، صفيحة وجهه كضوء شهابِ القابس المتنور

ويجدر بالذكر هنا - أن جود عروة أمير الصعاليك وأخلاقاته الراقية التي هي في مضمونها قيم النبل الحقيقي لم تقتصر فاعليتها على الصعاليك الذي كان منهم وإليهم بل عمت وشملت كل محتاج، كل فقير، كل مسكين، كل ضعيف، كل مريض من سكان البادية العربية، كان بيت عروة الملجأ لكل محتاج، وفراشه فراشه على حد قوله:

فراشي فراشُ الضعيف والبيت بيته، ولم يلهني عنه غزالٌ مقنَعٌ
أحدته، إن الحديث من القرى وتعلم نفس أنه سوف يهجع

إنسانية عروة:

إن إنسانية عروة وجوده تتمثل أفضل تمثيل في طريقة حياته ومعاملته للصعاليك، الذين كثيراً ما كانوا يتدللون عليه، فيتحملهم لئلا يفسد صنيعه معهم، ويصبر عليهم أعظم الصبر، ويكظم غيظه، ويعفو عنهم أعظم العفو.

كان إذا أصاب الناس شدة، وتركوا في دارهم المريض أو الكهل المسن أو العاجز الواهن، قام على الفور بجمع هؤلاء الناس وأشباههم من دون أهله، يبني لهم خيمة كبيرة، يكسوهم، ويطعمهم، ويسقيهم ويرعاهم كل الرعاية، ومن قوي منهم إما مريض فيشفى من مرضه، أو ضعيف تعود له قوته، خرج به معه، مشاركاً في الغارات على أن يجعل لأصحابه الآخرين من غير القادرين

نصيباً من غنائم هذه الغارات، وفي قسمة الغنائم كان عروة ينكر ذاته، ولا يطمع في شيء مهما كان، يؤثر الضعفاء على نفسه، وكان الكثيرون ممن حضر الغزو والقسمة يعود إلى أهله محملاً بما لذ وطاب، أما عروة الزعيم المعطاء فكان سخاؤه الدائم يتيح له الباتة أن يحتفظ بأي شيء مهما كانت قيمته، ولم يأخذ، ولم يحتفظ بشيء، إن دوره أن يعطي ويعطي، وسبحان الله العلي العظيم فقد خلق بشراً يعطون ويعطون حتى يلاقون باريهم، وبشراً آخرين يأخذون ويأخذون طالما هم على ظهر دنيانا الفانية، وكان عروة من الفريق الأول الذي يعطي، دوره فقط أن يعطي، يعطي كل الناس دون حدود، والشيء الغريب أن عروة إذا أعسر وضاعت به الأمور يذهب إلى الذين أثروا من جوده وكرمه، يطلب منهم القليل، والعون الضئيل، فيردونه خائباً، بخفي حنين وهذا ما جعله يقول:

ألا إن أصحاب الكنيف رأيتهم كما الناس لما أخضبوا وتمولوا

على أن هذا لم يكن ليقعد به عن أن يجمع سوى هؤلاء الجاحدين الذين اتخموا من جود عروة، فيحسن إليهم، ويعاملهم أفضل معاملة، ويكسب لهم مرات ومرات.

وكثيراً ما كانت زوجاته يلمنه على مغامراته وعلى بذل نفسه من أجل الصعاليك ولعل ذلك هو السبب المباشر في عدم هناء عروة في حياته العائلية.

كان عروة لا يستمع إلى لومهم الحاد. على أنه كان من أكثر الرجال أدباً مع زوجاته، ومن أجودهم يداً في معاملتهم بالحسنى، يحميهم من كل سوء أو شر ويدلنا على ذلك ما قالته تلك المرأة الكنانية، التي كان عروة قد أسرها في واحدة من غزواته وتزوجها عن رضى كامل منها، ثم عرف أهلها بالأمر، فأسرعوا يحملون الفدية، ويبدو أن عروة كان محباً لهذه المرأة متعلقاً بها، وود لو أنها عاشت معه طوال الدهر، ويبدو أيضاً أن المرأة كانت تحبه، ولكن الوطن هو

حب المرء الأول، على كل فالمرأة الكنانية، لم تفارق شاعرنا عروة إلا بعد أن قالت له وهي تبكي بكاءً حاراً:

«يا عروة! والله ما أعلم أن امرأة ألفت سيرها على بعلٍ خير منك، وأغض طرفاً، وأقل مخشاً، وأجود يداً، وأحمى لحقيقة».

وفي رواية أخرى أن هذه المرأة الكنانية كانت تدعى «سلمى». قالت له: «والله إنك، ما علمت، لضحكوك مقبلاً، كسوبٌ مُدبراً، خفيفٌ على متني الفرس، ثقیل على العدو، كثير الرماد، راضي الأهل والجانب (الغريب)».

ولعل شهرته بالكرم والسماحة والعطاء المستمر جعلت الخليفة المثقف عبد الملك بن مروان الأموي يقول:

«مَنْ زعم أن حاتماً أسمع الناس، فقد ظلم عروة!!».

شاعرية عروة:

لم يكن عروة بن الورد فارساً صعلوكاً جواداً فحسب، وإنما كان من شعراء العرب المعدودين، حتى أن قومه، بني عبس، كانوا يأتُمون بشعره، وعبس هي قبيلة شاعر الحب والحرية، عنترة بن شداد العبسي.

يقول عمر بن شبّه - بلغني أن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قال للحطيئة الشاعر المخضرم:

- كيف كنتم في حربكم؟

قال: كنا ألف حازم.

قال: وكيف؟

قال: كان فينا (قيس بن زهير) وكان حازماً، وكنا لا نعصيه، وكنا نقدم إقدام (عنترة)، ونأتم بشعر (عروة بن الورد)، وننقاد لأمر (الربيع بن معاذ).

وشعر عروة له عدة خصائص سيلاحظها القارئ خلال قراءته لمقطوعاته

الشعرية في هذا الديوان ويمكن لنا إيجازها فيما يلي :

- شعر يتميز باللطف
- شعر يتميز بالقبول لدى القارئ (سائغ).
- لا نرى منه وقوفاً على الأطلال، وبكاءً للديار، وتشبيهاً بالمحجوبة الطاعنة، ووصفاً للجواد أو الناقة وغير ذلك، أقول أن هذا لا نراه فيما وصل لنا من شعر عروة بن الورد، ولعل الأيام تجعلنا نضع أيدينا على أشعار أخرى غير التي نعرفها لعروة، ونجد فيها المقدمة التقليدية للشعر الجاهلي، ولكن طالما أن ذلك غير قائم حتى الآن فيمكننا القول أننا أمام شاعر مجدد، خرج عن أطر النمطية التقليدية، وهذا ملائم لرجل منطلق حر، يرفض السلطة والتسلط، يرفض القهر والاستبداد، يرفض الجور والظلم الاجتماعي، يرفض التفاوت المقيت بين الطبقات، ويعلن انحيازه دون مواربة إلى جانب الفقراء، والمساكين، إلى جانب المعذبين في الأرض، إلى جانب المرضى والضعفاء، إلى جانب البؤساء، وغير الأمنين.

وهذا هو دور الشاعر - يا سادة - الشاعر دوره لا يقل عن دور الأستاذ في الجامعة، المعلم في المدرسة، الواعظ في المسجد والكنيسة، الأم والأب في الأسرة، الشاعر صاحب رسالة، رسالة فحواها الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والدعوة للحق والعدل والحب والجمال والحرية، الشعر ليس كلمات جوفاء فارغة يلوكها نفر من المتشاعرين الأدعياء، راجعوا عروة، وأمثال عروة من الشعراء أصحاب القيم والمبادئ والمثل لعلكم تراجعون أنفسكم وتفهموا جيداً ما معنى الشعر، ومادور الشاعر - غفر الله لنا ولكم - وهذاكم إلى طريق الصواب.

- شعر عروة خرج بعيداً عن التقليدية إلى آفاق رحبة وإلى أغراض إنسانية سامية.

- شعر عروة يمتلىء بجمال المعاني، والطراوة، والإيقاع العذب، والبعد عن الغريب والمستهجن.

ويقال إن عروة بن الورد أمير الصعاليك مات مقتولاً، قتله رجل من بني طهية في سنة ٦١٦ م.

٢ - عروة بن الورد في تراثنا الأدبي

فلما نجد كتاباً من كتبنا الأدبية التي تؤرخ للأدب أو رجاله لا تذكر عروة أمير الصعاليك، وتحكي بعضاً من الكلمات التي قيلت عنه، أو بعض القصص والحكايات التي تناولته. وفيما يلي نقل طرفاً من هذه القصص التي وردت عن عروة في الكتب الأدبية [مع تصرف بسيط منّا]:

أ - ما بين عروة والهزلي:

يقال إن ثمامة بن الوليد دخل على المنصور العباسي فقال: يا ثمامة! هل تحفظ حديث ابن عمك عروة الصعاليك ابن الورد العباسي؟

فقال ثمامة: أي حديثه يا أمير المؤمنين؟ فقد كان كثير الحديث حسنه.
قال المنصور: حديثه مع الهزلي الذي أخذ فرسه.
قال ثمامة: ما يحضرني ذلك فأرويه يا أمير المؤمنين.

فقال المنصور: خرج عروة بن الورد حتى دنا من منازل هذيل، فكان منها على نحو ميلين وقد اشتد به الجوع. فإذا هو بأرنب فرماها، ثم أشعل ناراً فشوّاها وأكلها، ودفن النار على مقدار ثلاثة أذرع، وقد ذهب الليل، وغارت النجوم، ثم أتى سرحة فصعدها، وتخوف الطلب، فلما تغيب فيها إذا الخيل قد جاءت وتخوفوا البيات.

وتجيء جماعة منهم ومعهم رجل على فرس، فجاء حتى ركز رمحه في موضع النار وقال: لقد رأيت ناراً ها هنا؟!!

فنزل رجل منهم ليحفر حفرة قدرها ذراع فلم يجد شيئاً، فأكب القوم على الرجل يعذّلونه ويعيبون أمره ويقولون: عنيتنا من مثل هذه الليلة الباردة وزعمت لنا شيئاً كذبت فيه.

فقال الرجل: ما كذبت ولقد رأيت النار في موضع رمحي.

فقالوا: ما رأيت شيئاً ولكن تحذلك وتداهيك [أي ادعاؤك الحذق، وادعاؤك الدهاء] هو الذي حملك على هذا، وما نعجب إلا لأنفسنا حين أطعنا أمرك واتبعناك.

ولم يزلوا بالرجل حتى رجع عن قوله، فرحل الرجل ورجع القوم فاتبعهم عروة حتى إذا وردوا منازلهم اختبأ عروة في جانب بيت الرجل، وإذا بعبد أسود قائم عند المرأة يحدثها، وقد أتاها بعلبة فيها لبن وقال: إشربي يا سيدي، فقالت: أو تبدأ؟ فبدأ العبد الأسود وشرب ثم شربت.

كل ذلك وعروة يشاهد ذلك. فجاء الرجل فقالت له المرأة: لعن الله صلبك!! عنيت قومك منذ الليلة.

قال: لقد رأيت ناراً - ثم دعا بالعلبة ليشرب فقال حين ذهب ليشرب: ربح رجل ورب الكعبة!!

فقالت امرأته: هذه أخرى، وأي ربح رجل تجده في إنائك غير ربحك؟ ثم صاحت فجاء قومها فأخبرتهم خبرها. فقالت: يتهمني، ويظن بي الظنون!!

فأقبلوا عليه باللوم حتى رجع عن قوله فقال عروة: هذه ثانية قال: ثم أوى إلى فراشه، فوثب عروة إلى الفرس وهو يريد أن يذهب به، فضرب الفرس بيده ونخر، فرجع عروة إلى موضعه ووثب الرجل. فقال: ما كنت لتكذبني فما لك؟ فأقبلت عليه امرأته لوماً وعدلاً.

قال: فصنع ذلك عروة ثلاثاً ومنعه الرجل، ثم أوى الرجل إلى فراشه وضجر من كثرة ما يقوم فقال (للفرس): لا أقوم إليك الليلة.

وأناه عروة فجال في متنه وخرج راكضاً وركب الرجل فرساً عنده أنثى. قال عروة: فجعلت أسمعه خلفي يقول: إلحقي فإنك من نسله.

فلما انقطع عن البيوت قال له عروة: أيها الرجل قف! فإنك لو عرفتنى لم تقدم عليّ. أنا عروة بن الورد، وقد رأيت الليلة منك عجباً فأخبرني به وأرد إليك فرسك!!

قال: وما هو؟

قال: جئت مع قومك حتى ركزت رمحك في موضع نار وقد كنت أوقدتها فشوك عن ذلك فانشيت، وقد صدقت. ثم اتبعتك حتى أتيت منزلك وبينك وبين النار فأبصرتها منهما، ثم شممت رائحة رجل في إنائك وقد رأيت الرجل حين أثرته زوجتك بالإناء وهو عبدك الأسود، فقلت: ربح رجل، فلم تنزل زوجتك تشيك عن ذلك حتى انشيت.

ثم خرجت إلى فرسك فأردته فاضطرب وتحرك فخرجت إليه، ثم خرجت وخرجت ثم أضربت عنه، فرأيتك في هذه الخصال أكمل الناس ولكنك تشني وترجع.

فضحك الرجل وقال: ذلك لأحوال السوء. والذي رأيت من صرامتي (المضي في كل أمر) فمن قبل أعمامي وهم هذيل، وما رأيت من ضعفي وجبني فمن قبل أخوالي، وهم بطن من خزاعة. والمرأة التي رأيت عندي امرأة منهم، وأنا نازل فيهم. فذلك الذي يثني عن أشياء كثيرة. وأنا لاحق بقومي، وخارج عن أخوالي هؤلاء، ومخل سبيل المرأة، ولولا ما رأيت من ضعفي وجبني لم يقو على مناوأة قومي أحد من العرب.

فقال عروة: خذ فرسك راشداً!!

قال الرجل: ما كنت لأخذه منك وعندي من نسله جماعة، فخذ مباركاً لك فيه.

قال ثمامة: إن له عندنا أحاديث كثيرة ما سمعنا بحديث هو أظرف من هذا.

ب - هل هو ابن لعروة لا يعرفه؟!

وتحكي كتب الأدب أن المنصور العباسي قال عن عروة بن الورد أنه خرج هو وأصحابه حتى أتى ماوان، فنزل أصحابه وكنف لهم أي بنى لهم خباء يشبه الحظيرة المصنوعة من الشجر، وهم أصحاب الكنيف، ثم مضى يتغني لهم شيئاً وقد جهدوا فإذا هو بأبيات شعر (خيام) وبامرأة شائخة، وشيخ كبير معوج جلس بجوارها، وقد أجدب الناس، وهلكت الماشية، فإذا هو في البيت بحلقوم مشوي والبيت خالٍ فأكلها وقد مكث قبل ذلك يومين لا يأكل شيئاً، فأشبعه وقوي، فقال: لا أبالي من لقيت بعد هذا. ونظرت المرأة فظنت أن الكلب أكلها فقالت: أفعلتها يا خبيث؟ وطرده.

فإنه عروة كذلك إذا هو عند المساء بإبل قد ملأت الأفق وإذا هي تلتفت خوفاً فعلم أن راعيها جلد شديد الضرب، فلما أتت المناخ بركت، ومكث الراعي قليلاً ثم وضع العلبة على ركبتيه وحلب حتى ملأها، ثم أتى الشيخ فسقاه، ثم أتى ناقة أخرى ففعل بها كذلك وسقى العجوز، ثم أتى أخرى ففعل بها كذلك فشرب هو، ثم التف بثوب واضطجع ناحية.

فقال الشيخ للمرأة وقد أعجبه ذلك: كيف ترين إبني؟

فقالت: ليس بإبنك!

قال: فابن من ويلك؟

قالت: ابن عروة بن الورد

قال: ومن أين؟

قالت: أتذكر يوم مر بنا ونحن نريد سوق ذي المجاز (سوق يقع قريباً من عرفة) فقلت: هذا عروة ابن الورد، ووصفته لي، فإني تزوجت به.

فسكت، حتى إذا نوم وثب عروة وصاح بالإبل فقطع منها نحواً من النصف ومضى، ورجا أن لا يتبعه الغلام، وهو غلام حين بدا شاربه، فاتبعه.

قال: فأنحدرا وعالجه، فضرب عروة الأرض به، فيقع قائماً، فتخوفه على نفسه، ثم واثبه فضرب به وباده فقال: إني عروة بن الورد! وهو يريد أن يعجزه عن نفسه. قال: فارتدع ثم قال: مالك ويلك! لست أشك أنك سمعت ما كان من أمي.

فقال عروة: نعم فاذهب معي أنت وأمك وهذا الإبل، ودع هذا الرجل فإنه لا يهنتك عن شيء. قال: الذي بقي من عمر الشيخ قليل، وأنا مقيم معه ما بقي فإن له حقاً وذماماً، فإذا هلك فيما أسرعني إليك. وخذ من هذه الإبل بعيراً.

قلت: لا يكفيني، إن معي أصحابي خلفتهم.
قال: فثانياً.

قلت: لا
قال: فثالثاً، والله ما زدتك على ذلك شيئاً.
فأخذها ومضى إلى أصحابه.

ثم إن الغلام لحق به بعد هلاك الشيخ.

ويقال أن الذي كان يستمع هذه القصة من أبي جعفر المنصور العباسي: تمامة بن الوليد وهو ابن عم عروة بن الورد. فقد علق على كلام المنصور قائلاً: يا أمير المؤمنين لقد زينت عندنا وعظمت في قلوبنا.

قال المنصور: فهل أعقب عندكم؟!

قال: لا، ولقد كنا نشاءم بأبيه لأنه هو الذي أوقع الحرب بين عبس وفزارة بمراهنه حذيفة بن بدر [سيد من سادات فزارة]، ولقد بلغني أنه كان له (أي لعروة) ابن أسن من عروة [يظهر أن الغلام قد سمته أمه عروة هو الآخر علم اسم أبيه] فكان يؤثره على عروة فيما يعطيه ويقربه. فقليل له: أتؤثر الأكبر مع غناه عنك على الأصغر؟ لئن بقي مع ما يرى من شدة نفسه ليصيرن الأكبر عيالاً عليه.

ج - أيهما أفضل؟

جاء في (زهر الآداب وثمر الألباب) لأبي إسحاق الحصري القيرواني (٢/ ١٠٢٧)، وفي الأمالي لأبي علي القسالي (١/ ٢٦٥)، وفي السلائي (٥٩٠) - قال أبو حاتم: أتيت أبا عبدة ومعني شعر عروة بن الورد، فقال لي: ما معك؟ قلت: شعر عروة. قال: شعر فقير، يحمله فقير، ليقرأه على فقير! قلت: ما معني شعر غيره؟ فأنشدني أنت ما شئت؛ فأنشدني من شعر قطري بن الفجاء المازني وعلق قائلاً: هذا والله هو الشعر لا ما يتعللون به من أشعار المخانيث.

[وقطري بن الفجاء المازني، كان يكنى في السلم أبا محمد، وفي الحرب أبا نعام، وكان أطول الخوارج أياماً، وأحدهم شوكة، وكان شاعراً جواداً] وهو القائل:

لا يركبني أحدٌ إلَيَّ إلا حجام	يوم الوغى متهيّباً لحمام
فلقد أراني للرماح دريئة	من عن يميني تارة وأمامي
حتى خضبت بما تحدر من دمي	أكناف سرجي أو عنان لجامي
ثم انصرفت وقد أصبت ولم أصب	جدع البصيرة قارح الإقدام

د - وهناك العديد من الأقوال والحكايات والآراء التي قيلت عن عروة بن الورد في كتب ومراجع كثيرة نذكر منها:

- الشعر والشعراء - لابن قتيبة. [٥٦٦/٢]
- الأغاني [١٨٤/٢]
- خزانة الأدب للبغدادى [١٩٤/٤]
- تاريخ الأدب العربي لبروكلمان [١٠٩/١]... وغيرها.
- الأصمعيات (رقم ١٠)

٢ - حول الديوان وخطة التحقيق

سبق أن طبع ديوان عروة بن الورد العبسي أمير الصعاليك، أكثر من مرة نذكرها فيما يلي :

- نشرة نولده سنة ١٨٦٣ م في ٩٣ صحيفة مع ترجمة ألمانية لمضمونه .
- نشر ضمن مجموعة شعرية بعناية السيد /أمين زيتونة من المطبعة الوهية بالقاهرة ١٨٧٦ م .
- طبع في بيروت سنة ١٣٢٧ هـ .
- طبع في القاهرة سنة ١٩٢٣ م .
- شرح الديوان محمد بن أبي شنب، في الجزائر، سنة ١٩٢٦ م .
- شرح الديوان كرم البستاني، في بيروت، عن دار صادر ١٩٦٤ م .
- شرح الديوان عبد المعين الملوحي، في القاهرة، ١٩٦٦ م .



ولنا عدة ملاحظات على هذه الشروح وتلك التحقيقات لديوان عروة، وقبلها يجب أن نقدم الشكر والتقدير والتحية لكل من قام بتحقيق أو شرح، أو نشر قصائد عروة بن الورد قبلنا، فقد استفدنا من هذه الجهود الجادة المثمرة - ونعود إلى ملاحظتنا:

- أ - في هذه الطبعات تكثر الأخطاء الطباعية واللغوية والنحوية سواء في النصوص الشعرية أو الشروح الزهيدة المذيلة بها .
- ب - نلاحظ النقص الشديد في الأبيات والمقطوعات مع عدم الترتيب .
- ج - لا توجد شروح كافية تسهل على القارئ مهمة فهم ما يقوله الشاعر الجاهلي بلغته المختلفة عن لغتنا .
- د - لا يوجد تعريف بمناسبة قول الشاعر لكل مقطوعة فهذا يسهل من مهمة إدراك القارئ لمضمون ما يقصده الشاعر .

هـ - لا توجد أي إيضاحات بلاغية أو نحوية أو بلاغية أو أدبية تفيد القارئ المتابع.

و - لا توجد أي تعليقات أو إضاءات أو شروح تتعلق بالجوانب النفسية أو الاجتماعية أو النقدية التي تشري القارئ وتجعله أكثر إدراكاً بالشاعر، وشخصيته، وعصره، وحياته، وفكره، ونفسيته، ومجتمعه، وبيئته. . الخ.

ز - عدم ضبط نصوص الأشعار ضبطاً لغوياً سليماً يؤدي إلى القراءة السليمة التي هي أساس الوعي بالنص الأدبي وفهمه، وإدراك تناميته، ومرامييه، وتداعياته.

ح - لم تقدم الطبقات السابقة تعريفاً بعصر الشاعر من كافة نواحيه، ورغم أن هذه الطبقات تقر وتعترف بأن عروة بن الورد كان زعيماً للصعاليك فلم نعرفنا بمن هم الصعاليك ولم تقدم دراسة أدبية - حتى ولو من قبيل الإيجاز - حول هذا الموضوع، وهذا ما حاولناه نحن في دراستنا لهذا الديوان فقدمنا دراسة حول أدب الصعاليك لعلها تأتي ثمارها وتفيد لعلاقة عروة الحميمة بالصعلكة والصعاليك.

فالكمال لله تعالى وحده، فهو الكامل المكمل، فإذا كان الصواب قد جانبني في بعض الأمور فأرجو أن يقبل القارئ عذري، فكلنا يحاول، وكلنا يتعلم، وفوق كل ذي علم عليم، المهم أن نسعى جميعاً للعلم الصادق والفكر الواعي، من أجل الأفضل والأحسن.

ملحوظة :

من جمعنا لأشعار عروة بن الورد قمنا بالعودة إلى جميع مصادر الأدب العربي القديمة واستخلصنا منها كل أشعار عروة وطابقناه بالطبعات المختلفة التي سبقتنا لديوان عروة واخترنا الأفضل والصحيح وعليه كان تحقيقنا ودراستنا لهذا الديوان - وبالله التوفيق.

٤ . في العصر الجاهلي عاش عروة بن الورد ■ إطلالة ورؤية ■

ما الأدب الجاهلي :

الأدب الجاهلي هو أدب الفترة التي سبقت ظهور الإسلام بنحو قرن ونصف قرن، وقد نشأ هذا الأدب في الجزيرة العربية، يستوحي صورته وأفكاره من بيئتها الطبيعية والاجتماعية، ويرسم لنا شعره ونثره صورة واضحة لهذه البيئة، معبرة عنها أصدق التعبير، فكان من الضروري أن نعرف شيئاً عن الجزيرة العربية وحياتها أهلها، ليتسنى لنا أن نفهم شعر عروة بن الورد الذي نعرض لديوانه بالدرس والتحقيق، ونتعرف على خصائص شعره، وخصائص الشعر الجاهلي بوجه عام.

جزيرة العرب :

في الجنوب الغربي من آسيا تقع بلاد العرب، وهي ليست جزيرة بالمعنى الاصطلاحي لهذه الكلمة؛ لأن الماء لا يحيط بها من جهتها الشمالية، ولكن القدماء تسامحوا فسموها جزيرة العرب.

وهي تُحَدُّ بالفرات وبادية الشام شمالاً، و(الخليج العربي) وعمان شرقاً، والمحيط الهندي جنوباً، والبحر الأحمر غرباً. وقد قسمها جغرافيو العرب إلى خمسة أقسام :

١ - الحجاز: ويطلق على سلسلة الجبال التي تمتد من شمالي اليمن إلى أطراف بادية الشام، وجوّه شديد الحرارة، ومطره قليل، وأرضه قفرة إلا في بعض المناطق، حيث يعتدل الجو، وتجدد الأرض كما في الطائف. وأشهر مدنه: مكة، ويثرب (المدينة)، والطائف.

٢ - تهامة: وهي الأرض المنخفضة غربي الحجاز، وهي شديدة الحرارة، قليلة المطر والنبات.

٣ - نجد: وهي القسم المرتفع شرقي الحجاز، وتتخلله الوديان والواحات الصالحة للزراعة، وهو من أحسن بقاع الجزيرة جواً وأصحها هواءً، وأجملها بيئة، ولا سيما في الربيع، حيث تزدان أرضه بالريا المعشبة، والأدواح الظليلة، وألوان الزهر والثمار.

٤ - اليمامة: وهي الأرض التي تعترض بين نجد واليمن.

٥ - اليمن: أرضه منخفضة على شاطئ البحر، مرتفعة في الداخل، يتمتع - بسبب إشرافه على المحيط الهندي والبحر الأحمر - بجو معتدل، وأمطار غزيرة، وتربة خصبة، هيأت لأهله الاستقرار، فأنشأوا السدود، وخزنوا المياه، وأقاموا حضارة عريقة. وأشهر مدنة: مأرب، وصنعاء، ونجران، وعدن.

وإلى جانب هذه الأقسام صحراء واسعة، تمتد من وسط الجزيرة، وتشمل أكبر جزء من أرض جزيرة العرب، وهي مختلفة في طبيعتها، فهي حيناً رمال لينة تغوص فيها الأقدام، وحيناً أرض صلبة، أو حجارة سوداء كأنما أحرقت بالنار.

وجو جزيرة العرب، قاري، يشتد حرها صيفاً إلى درجة عالية، ويشتد بردها شتاءً، حتى ينعقد به الثلج في أعالي الجبال كما في الطائف، وليس بالجزيرة أنهار جارية، ولهذا يعتمد أهلها على المطر، وما ينشأ عنه من آبار وأودية، يجري فيها الماء حيناً، ويجف حيناً.

ومطرها - إذا استثنينا - بعض الأجزاء الساحلية - قليل، بل نادر في أكثر أرجائها، وبها بقاع خصبة، تجود بالزروع والثمار؛ كاليمن والطائف، ولكن أكثر أرض الجزيرة قفار، بها مواطن تنبت الكلاء عقب هطول المطر، وأخرى لا يصيبها الغيث، ولا تجود بزراع.

أهل الجزيرة: سكن العرب الجزيرة العربية منذ عصور قديمة، وكان منهم من تحضر وأقام في المدن كأهل اليمن، ومنهم من عاش عيشة تنقل وارتحال، يتبعون منابت الكلاء في الصحراء الشاسعة، وهؤلاء هم أهل البدو، وهم أكثر سكان الجزيرة وقد كانوا قبائل، كل قبيلة تتكون من أسر، ولها رئيسها الذي يحكم بيتها وفقاً لمأثور عرفها وعاداتها.

والنسابون يذكرون أن عرب الجزيرة يرجعون إلى أصليين، تفرعت منهما القبائل العربية.

عرب الشمال: ويسمون العدنانيين، نسبة إلى عدنان من ولد إسماعيل ابن إبراهيم (عليهما السلام)، وينقسمون شعبين كبيرين: شعب ربيعة، ومن أشهر قبائله: بكر وتغلب، وشعب مضر، ومن أظهر قبائله قريش، وكنانة، وأسد، وقيس، وتميم.

وعرب الجنوب: ويسمون القحطانيين، وينقسمون شعبين كبيرين: شعب كهلان، ومن قبائله طيء، وكندة، ولخم، والأذر، وغسان، وشعب حمير، ومن قبائله قضاة، وجهينة، وعذرة، وكلب.

وكان بين عرب الشمال وعرب الجنوب صلات؛ فقد رحل بعض قبائل الشمال إلى الجنوب، ورحل كثير من اليمنيين إلى الشمال، ومن هؤلاء طيء، ولخم التي أسست إمارة الحيرة، وغسان الذين أقاموا إمارة لهم في شرقي الشام، وكندة التي مدت ملكها على بني أسد.

أهل الحضر: هم الذين كانوا يعيشون عيشة مستقرة، ويشغلون بالتجارة أو الزراعة، أو الصناعة، كسكان اليمن، وإمارتي الحيرة، والغساسنة، وبعض مدن الحجاز كمكة والطائف.

ففي اليمن العربية قامت دول ذات حضارة، وحياة سياسية منظمة، كدول سبأ ودولة حمير، وفي شمالي الجزيرة نشأت إمارتان عربيتان كانتا بمثابة قاعدتين

عسكريتين للفرس والروم العدوين التقليديين اللذين كانا يتنازعان سيادة العالم القديم وأعني بهما إمارة الحيرة (تابعة للفرس)، إمارة الغساسنة (تابعة للروم)، وسبب نشأتهما أن بلاد العرب كانت تجاور قوتين عظيمتين: فارس شرقاً والروم شمالاً.

وكانت بين هاتين الدولتين عداوة مستحكمة وحروب متصلة، كما كانت حدودهما معرضة لهجمات العرب المتكررة، ولم يكن من اليسير عليهما القضاء على هذه الهجمات؛ لصعوبة وسائل الإتصال في الجزيرة العربية.

ومن أجل هذا فكر الفرس أن يقيموا على حدود دولتهم إمارة عربية تحميهم، وتؤازرهم في صراعهم مع الروم، فأنشأوا إمارة الحيرة التي حكمها المناذرة اللخميون، وظلت قائمة منذ أواخر القرن الثالث الميلادي حتى فتحها خالد بن الوليد.

إذن دخل العرب لعبة التوازنات السياسية منذ وقت باكر وهذا أمر يتطلب درساً وتحليلاً نجد أن المقام لا يسمح له، المهم أن عرب الحيرة كانوا في رغبة من العيش، لخصب أرضهم، وغنى بلادهم، وقيامهم على تجارة فارس في الجزيرة، كما كان حظهم في الرقي العقلي ومن الحضارة أعظم من حظ غيرهم في أكثر أقاليم شبه جزيرة العرب؛ فقد نقلوا من مدينة فارس وآدابها، ونظمها، كما نقلوا شيئاً من علوم اليونان، ومنهم من كانوا يقدون إليها من الشعراء.

وصنع الروم صنيع الفرس، وأقاموا على حدود دولتهم إمارة الغساسنة، التي حكمها الغسانيون منذ أواخر القرن الخامس الميلادي، حتى فتحها المسلمون في عهد عمر بن الخطاب.

وكان الغسانيون على حظ عظيم من الرقي العقلي، وفي درجة كبيرة من الحضارة، وفي الأدب الجاهلي كثير من الشعر، والقصص، والأمثال التي قيلت في ولاية هذه الإمارة، وشفقت عما وصلت إليه من حضارة.

أما قريش العربية فقد انتهت إليها الزعامة التجارية في شبه الجزيرة العربية بعد أن كانت في يد اليمنيين الجنوبيين، وتعددت رحلاتها إلى اليمن شتاءً، وإلى الشام صيفاً، وساعدها على ذلك موقعها في منتصف الطريق بين اليمن والشام، ومكانتها في نفوس العرب فهي راعية الكعبة، وجهودها متصلة ومستمرة في نشر السلام في أنحاء الجزيرة.

وكانت وفود العرب تأتيها من كل ناحية للحج، ولحضور الأسواق التجارية والأدبية كسوق عكاظ الذي يقع قرب الطائف، وكان يجتمع فيها العرب من مختلف أرجاء الجزيرة للتجارة، ومفاداة الأسرى، والتحكيم في الخصومات، والمفاخرة بالشعر والخطب، وكان من المحكمين في الشعر النابغة الذبياني.

ذلك كله ترك أثره في قريش وأهلها، فقد استقروا وأثروا، وارتفعت حياتهم العقلية بما نقلوه عن الأمم المتحضرة من مدنية وثقافة؛ كما ساعد هذا الإتصال بين العرب، على تقريب لهجاتهم، والتمهيد للمجتمع العربي الذي كونه الإسلام فيما بعد.

أهل البدو: هم سكان البادية. وهم أكثر سكان الجزيرة، وقد كانوا يعيشون حياة غير مستقرة يسيطر عليها الشظف والجوع والخوف وانعدام الأمن والأمان، ينتظرون مواسم المطر، ومنابت الكأ، فيخرجون إليها يابلهم وغنهم يرعونها، ويعتمدون عليها في حياتهم فيشربون ألبانها، ويأكلون لحومها، ويتخذون من أصوافها وأوبارها ملابسهم وخيامهم، وهي وسيلتهم في الحل والترحال، في الحرب والسلام لذلك ليس بمستغرب أن يصف الشاعر العربي فرسته أو ناقته وصفاً تفصيلياً لا يعتزازه بهما، ولا ارتباطهما بحياته ارتباطاً حميماً كما فعل طرفة بن العبد البكري في افتتاحية معلقته حيث وصف ناقته وصفاً تفصيلياً، وكما فعل عمدة شعراء العصر الجاهلي وأميرهم (امرؤ القيس) الذي وصف فرسه في كل حالات أبدع وصف. فإذا انتهى المرعى من مكان تركوه، وتنقلوا في ربوع البادية بحثاً عن غيره، تاركين وراءهم [في شكل تراجيدي

«مأساوي»[أحجار قدر، وملاعب صبية، وأطلال ما يثير الذكرى، ويبعث الحنين، كلما عادوا فمروا بها.

وكانت الإبل وسيلتهم في الحل والترحال في أنحاء شبه الجزيرة، فهي مركب الفقراء، أما الخيل فكانت مركب أهل اليسار، وعدة البدو في حروبهم الدائمة.

وكثيراً ما كانت السماء تظن بمطرها على البادية فيهدد أهلها القحط الذي يتجلى عن صور من الكرم والمروعة والنجدة التي اشتهر بها العربي منذ فجر التاريخ، أو سلسلة من الغارات التي تدفع إليها البداوة وضيق العيش في هذه الأزمات مثل تلك الغارات التي كان يقوم بها الصعاليك ومنهم عروة بن الورد أميرهم.

وهذه الحياة القلقة الواجفة المضطربة التي لا أمن فيها ولا أمان، ولا استقرار، جعلت القبائل تعزز بعصبيتها، ودفعت بعضها إلى تحالف مغ غيرها، التماساً للقوة وحفاظاً على أمنها واستقرارها.

فالكيان الكبير المتعاون المتضامن المنظم القائم على أسس سليمة هو المنحى السليم في زمن القلق والاضطراب، وزمننا هذا زمن لا يعرف «الأنا» فقط، ولكن يعرب المجموع القائم على أسس سليمة، ونحمد الله أننا نملك الدين الواحد، واللغة الواحدة، والأهداف والآمال المشتركة، والعادات والتقاليد الواحدة، والموقع الاستراتيجي الواحد الذي لا تفصله أي عوائق طبيعية، لن ينقذنا مما نحن فيه إلا الوحدة، أنظروا الذي يحدث في أوروبا، والذي يحدث وسيحدث في بلاد الروس، وفي ألمانيا، وفي كوريا، وفي مجموعة النور السبعة بقيادة اليابان، مضى زمن الفرد ونحن في زمن الكيان الواحد، وقد فعلها أجدادنا العرب من البدو القدامى عندما كان يهددهم القحط والقلق والخوف والعرضة للضياع كانوا يتحالفون التماساً للقوة وحفاظاً على الأمن والاستقرار، وكان للشعراء دوراً هاماً في ذلك، يسعون للتجمع ويسجلون ذلك.

وهذا ما يجب أن يتبناه شعراء العرب بدلاً من محاربة طواحين الهواء، ومركبات النقص التي تجري في دهمهم، وبدلاً من ركوب كل الموجات، ونفاق كل الأنظمة، والغرق في مستنقع التيه والنسيان، والمعارك الفارغة والتراشق بالألفاظ الجوفاء، وبدلاً من تهويماتهم غير المفهومة، نقول لهم اتقوا الله في أمتكم، اكتبوا للناس، ابعثوا الوعي واليقظة فيهم، عرفوهم أننا في زمن العلم والمعرفة والتكنولوجيا، قولوا لهم كفى تخاذل، كفى تواكلية، كفى أنانية وذاتية، قولوا لهم نحن في زمن الكيانات الموحدة كي لا تذرنا الرياح هباءً منثوراً.

الشاعر هو صوت الأمة، وضميرها المعبر عنها، في كل زمان وكل مكان - عفواً عزيزي القارئ - على هذا الاستطراد ولكن الشيء بالشيء يذكر - كما يقولون - أعود للعرب في جزيرة العرب فلم ينس أهل البدو في هذه البيئة الجافة الجافية وسائل الترفيه والمتعة، فأجروا حلقات السباق وحلباته، وخرجوا للقنص والصيد، واحتموا للرماية والمبارزة، ووجد بعضهم في مجالس اللهو والغناء مادة لذته.

وقد طبعت البادية العربية أهلها بصفات خاصة لیتنا نعود إليها في زمننا المنكود هذا، من أظهر هذه الصفات: الشجاعة التي تغنوا بها في مواطن القتال، ومنازلة الأعداء، وركوب المخاطر والأهوال، ونجدة المستصرخ، وحماية الأهل والعشيرة والقبيلة.

ومنها الاعتزاز بالجود، وإكرام الضيف، وإيواء اللاجئين، والعطف على الصغير، وتوقير الكبير، ومساعدة المحتاج والضعيف والفقير والمسكين - كما كان يفعل عروة بن الورد أمير الصعاليك وكما سئرى في ديوانه الشعري - كذلك إيقاد النيران يهتدي بها السائرون في جوف الليل، وإباء الضيم، والإعتداد بالنفس.

ومخاوف الصحراء واضطراب الصلوات فيها تركت البدوي حذراً يقطاً يتوجس الخطر، ويتوقعه، ويعتمد في دفعه على نفسه أو على صديق، يتوسم فيه

الإخلاص وصدق المعونة، ومن هنا كان الوفاء من أخص صفات العربي التي تميز بها، وامتدحها في نفسه وفي غيره.

ثم إن الصحراء بصراحتها ووضوحها، وبعدها عن الزخرف - جعلته صريحاً واضحاً، لا يعرف التكلف ولا الرياء.

أما من الناحية العقلية فلم يكن في البداية علم منظم بمعنى الكلمة، ولا معارف مدونة، ولكن كانت لهم معارف عامة، وتجارب تدل على ذكاء فطري وملاحظة دقيقة. عرفوا شيئاً من التجارب الطبية، وبيطرة الخيل، وبرعوا في الفراسة، وفي الاستدلال بهيئة الشخص على أخلاقه، وصفاته. وفي القيافة وهي الاهتمام بآثار الأقدام إلى أصحابها، وكانوا من أكثر الأمم عناية بأنسابهم، واعتزازاً بمآثرهم. ودل ما أثر عنهم من شعر، ونثر، وأمثال، وحكم، على مستوى عقلي راقٍ، وقدرة فنية رائعة.

الحياة الدينية في الجزيرة: شقت اليهودية والمسيحية طريقهما إلى جزيرة العرب، وانتشرت اليهودية في اليمن، ويثرب (المدينة)، كما انتشرت المسيحية في ربيعة، وغسان، وبين أهل الحيرة، ولكن أكثر أهل الجزيرة كانوا وثنيين يتخذون آلهة شتى:

عُبِدَت الشمس في بعض جهات اليمن، وعُبِدَ القمر في كنانة، وقال بعضهم بالهين إله النور وهو أصل كل خير، وإله الظلام وهو أصل كل شر، ومنهم من عاش لا يعرف ديناً.

وشاعت بينهم عبادة الأصنام والأوثان، التي سجدوا لها، وقربوا إليها القرابين واستشاروها فيما يعينهم من شؤون الحياة.

وكانت هذه الفوضى الدينية من أقوى العوامل التي مهدت السبيل لنجاح الدعوة الإسلامية وانتشارها فيما بعد.

هذه صورة موجزة للحياة الجاهلية، التي عاش فيها شاعرنا عروة بن الورد، والأدب الجاهلي سواء أدب عروة أو غيره من الشعراء وليد هذه الحياة ومرآتها، وسوف يجذ القارئ - بإذن الله تعالى - فيما مرّ به من ملامح الحياة الجاهلية ما يعنيه على أن يتفهم شعر عروة ويتذوقه، وتكشف عن الخصائص الفنية والفكرية له، وتربطه بالبيئة التي صدر عنها، والحياة التي أوحى به.

٥ . حول الصعلكة والصعاليك .

دراسة أدبية

نتناول ما يلي :

- المعنى اللغوي للصعلكة .
- نشأة الصعلكة .
- أخلاق الصعاليك [مذهبهم - شجاعتهم - حذرهم - يقظتهم - أنفتهم - صبرهم - تضامنهم]
- إعتقادهم أنهم على الحق في سلب أموال الأغنياء البخلاء .
- زرايتهم بالصعلوك الخامل المتكفف .
- سخاؤهم
- دعوتهم إلى نوع من التعاونية القسرية .
- بغضهم للمجتمع .
- دلالة الصعلكة على الفتوة والقوة .
- خصائص أدبهم : صدقه في تصوير أخلاقهم ومذهبهم - صدقه في التعبير عن نفسياتهم - وحدة الموضوع - أكثره مقطوعات لا قصائد - ندرة الغزل فيه - توجيه الخطاب إلى الزوجات .

● المعنى اللغوي:

الصعلكة هي الفقر، والصعاليك هم الفقراء، وتصعلك الرجل إذا افتقر.
يقول حاتم بن عبد الله:

غنيا زماناً بالتصعلك والغنى فكلا سقانه بكأسها الدهر
يعنى بالفقر والغنى

● ويقول أوس بن حجر:

يا عين جودي على عمرو بن مسعود أهل العفاف وأهل الحزم والجود
أودى ربيع الصعاليك الأولى انتجعوا وكل ما فوقها من صالح مود

فالصعاليك هنا هم الفقراء الذين كانوا يقصدون عمرو بن مسعود.

● ويقول الأعشى:

على كل أحوال الفتى قد شربتها غنياً وصعلوكاً وما إن أقأتها
● ويقول جابر بن ثعلبة الطائي:

كأن الفتى لم يَغْرِ يوماً إذا اكتسى ولم يك صعلوكاً إذا ماتمولا

ورُوي أن النبي ﷺ كان يستنصر بصعاليك المهاجرين أي فقرائهم.

هذه النصوص - التي ذكرناها - لا تدع مجالاً للشك في أن الصعلكة هي الفقر، وإن كانت دلالة الكلمة قد تطورت، فأطلقت أيضاً على الفقر المقترن بنزوع ثوري إن صدق هذا التعبير.

وباستقراء النصوص اللغوية نعرف أن الصعاليك هم الفقراء، لكنهم في هذا الاتجاه الثوري لم يكونوا فقراء فقط، بل كانوا فقراء شجعاناً أقوياء أصحاب حس مرهف وإدراك لما بينهم وبين الأغنياء من فوارق، جعلهم هذا يدركون آلامهم النابع من خلاء أيديهم من المال، وعجزهم عن الحياة التي يشتهون.

لقد ثاروا على النظام المالي ، فغنموا بالقوة ما قد حرموه ، واستراحوا إلى أنهم يثأرون من الأغنياء البخلاء ، في مجتمع لا تحميه شرطة ، ولا يخضع لقانون ، ولا يلجأ إلى محاكم منظمة .

واشتهر منهم في الجاهلية (عروة بن الورد) ، و (تأبط شرا) ، و (الشنفري) ، والسليك بن السليكة ، وعمرو بن براقه ، وفي الإسلام الأحمر السعدي وغيرهم .

وعرفوا جميعاً بسرعة الحركة والخفة والعدو والخبرة بدروب الصحراء ، ونقرأ في أمهات كتب الأدب عن تأبط شرا والشنفري والسليك أعاجيب في ذلك .

لقد كان الصعاليك شجعاناً مغامرين لا يبالون بالأهوال والمخاطر ، لأنهم يخطرون بحياتهم لتحقيق غرض شريف في نظرهم هو مسح دموع البائسين ، ولأن الموت عندهم حتم لا مفر منه . قال عروة بن الورد لزوجته :

أقلى على اللوم يابنة منذر	ونامي فإن لم تشتهي النوم فاسهري
ذريني ونفسي أمَّ حسنٍ إنني	بها قبل ألا أملك البيع مُشتر
أحاديث تبقى والفتى غير خالد	إذا هو أمسى هامة فوق صير
ذريني أطوف في البلاد لعلمي	أخليك أو أغنيك عن سوء محضر
فإن فاز سهم للمنية لم أكن	جزوعاً وهل عن ذاك من متأخر؟
وإن فاز سهمي كفكم عن مقاعد	لكم خلف أدبار البيوت ومنظر

وقال عمرو بن براقه الهمداني وقد استرد إبله من سالبها .

متى تجمع للقلب الذكي وصار ما	وأنفأ حمياً تجتنبك المظالم
متى تطلب المال الممنع بالقنا	تعش ماجداً أو تخترمك المخارم

هذه الحياة اقتضت منهم أن يكونوا على حذرٍ وتهيب دائم ، لا ينامون إلا قليلاً ،

ليحموا أنفسهم، وليتسمعوا سير القوافل لعلهم أن يباغثوها فينالوا منها ما يريدون. قال عمرو بن براقة:

وكيف ينال الليل من جل ماله حسام كلون الملح أبيض صارم؟
ألم تعلمي أن الصعاليك نومهم قليل إذا نام الخلي المسالم؟
وهم أصحاب أنفة يسلبون ولا يطلبون، ويصبرون على الجوع مهما يبلغ بهم الجهد حتى يغنموا برماحهم وسيوفهم.

وصف الشنفري هذه الصفة في قوله أنه يطيل الصبر على الجوع حتى يذهل عنه، لأنه يفضل أن يستف التراب على أن يكون لإنسان نعمة عليه، ولولا خلقه هذا لعاش في رغد، لكن نفسه أبية لا ترتضي مذلة:

أديم مطال الجوع حتى أميته وأضرب عنه الذكر صفحاً فأذهل
وأستف ترب الأرض كي لا يرى له على من الطول امرؤ متطول
ولولا اجتناب الدم لم يلف مشرب يعاش به إلا لديٍّ ومأكل
ولكن نفساً حرة لا تقيم بي على الضيم إلا ريثما أتحول

وفضل عروة الموت على الحياة الذليلة التي يشعر فيها بمنة أحد عليه.

وقد حقق الصعاليك التضامن تحقيقاً علمياً، إذ عطف بعضهم على بعض، وشارك بعضهم بعضاً في الأسلاب، وتقاسموا ما غنموا، وأشركوا في القسمة إخوانهم العاجزين.

هكذا كان يفعل زعيمهم (عروة بن الورد)، كان يجمع الصعاليك ويقوم بأمرهم إذا أخفقوا في غزواتهم، انعدم المال لديهم، ولهذا لقب بعروة الصعاليك وبأبي الصعاليك.

وكان يهدف من كسب المال أن يؤدي لإخوانه الصعاليك حقوقاً يعجزه الفقر عن أدائها، وكان يؤلمه أن تنزل بهم نازلة ولا يستطيع أن يقدم إليهم مساعدة، يقول لزوجته:

دعيني أطوف في البلاد لعلمي
أليس عظيماً أن تُلمَّ مَلَمَةٌ
أفيد غنى فيه لذي الحق مَحْمَل
وليس علينا في الحقوق مَعُول؟

ويقول:

فلا أترك الإخوان ما عشت للردى كما أنه لا يترك الماء شاربَه

● وكما يقول أستاذنا المرحوم الدكتور/ أحمد الحوفي إن الصعاليك لم يجدوا غضاضة في غاراتهم على أموال الأغنياء البخلاء، بل اعتقدوا أنهم على الحق فيما يفعلون، لأنهم يكفلون لأنفسهم وللضعفاء من إخوانهم أسباب الحياة، لهذا أنفوا من الصعلوك الخامل المتكاسل الذي يقنع بحد الكفاف، ويجلس حول المجازر ليتلقى عطايا الناس أو يلتقط النفايات، فيملأ بطنه، وينام نوماً عميقاً، ثم يقوم ليخدم نساء الحي.

ومدحوا الصعلوك المغامر، فإن قتل كان مشكوراً مذكوراً بالجرأة، وإن غنم كان بالغنمة جديراً. قال عروة:

لحا الله صعلوكاً إذا جنَّ ليله
يَعُدُّ الغنى من نفسه كل ليلة
ينام عشاء ثم يصبح ناعساً
بعين نساء الحي ما يستعنه
ولكن صعلوكاً صفيحة وجهه
فذلك أن يلقى المنية يلقها
مصافي المشاش ألفا كل مجزر
أصاب قراها من صديق مُيسر
يحت الحصا عن جنبه المتعفر
ويمسي طليحاً كالبعير المحسر
كضوء شهاب القابس المتنور
حميداً وإن يستغن يوماً فأجدر

ومدح حاتم الطائي الصعلوك المخاطر، وسخر بالصعلوك الضعيف العزيمة الذي لا يعنيه إلا أن يأكل ويلبس:

ولن يكسب الصعلوك حمداً ولا غنى
لحا الله صعلوكاً مناه وهمه
ولله صعلوك يساور همه
إذا هولم يركب من الأمر معظماً
من العيش أن يلقى لبوساً ومطعماً
ويمضي على الأحداث والدهر مقدماً

ويتبين من دراسة شعرهم أنهم دعاة إلى نوع من الاشتراكية العملية
القصرية (بلغه العصر)، لأنهم يؤثرون الموت على حياة الحرمان، قال عروة:

إذا المرء لم يبعث سواما ولم يُرح عليه ولم تعطف عليه أقاربه
فللموت خير للفتى من حياته فقيراً ومن مولى تدب عقاربه

وقد صور الأحمير السعدي - أحد الصعاليك في الإسلام - مذهبهم في
قوله أن المال مال الله، فهو حق مشاع، فليأخذ منه الصعاليك ما يشاؤون، وأنه
يخجل من الله أن يجر حبلاً بغير بعير، وأن يسأل اللئيم الشحيح بعيراً، والله
الإبل كلها وهي كثيرة.!!

ثم صور بغضه للمجتمع بأنه يأنس إلى عواء الذئب، ويفزع من صوت
الإنسان، وأشهد الله على كراهيته للناس، حتى لتأذى عينه وقلبه برؤيتهم:

وإني لأستحي من الله أن أرى أجرح حبلاً ليس فيه بعير
وأن أسأل الجبّس اللئيم بعيره وبعران ربي في البلاد كثير
عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى وصوت إنسان فكدت أطيّر
يرى الله أنني للأنيس لشانىء ويبغضهم لي مقلة وضمير

وقال أيضاً:

تعيّرني بالإعدام والبدو مُعْرِضٌ وسيفي بأموال التجار زعيم
وكان يستبشر إذا ما سمع نهيق حمار، لأنه يؤذن باقتراب التجار:

نهق الحمار فقلت: أيمن طائر إن الحمار من التجار قريب
ولما تاب كاد لا يطيق صبراً على التخلي عن الغارة وهو يرى القوافل
محملة بالطعام والمتاع:

أشكو إلى الله صبري عن زواملهم وما ألقى إذا مروا من الحزن
فرب ثوب كريم كنت آخذه من القطار بلا نقد ولا ثمن

● ومما يدل على أن الصعلكة - على ما فيها من ثورة وعدوان - كانت دلالة على القوة والفتوة أن (لقيط بن زرارة) لما قتل (أشيم بن عوف) - أحد الصعاليك - ثاراً لأخيه (علقمة)، افتخر بأنه ثار من مأوى الصعاليك، وبأنه قطع بقتله أنف اليمامة كلها، وقضى على خير رجالها:

فإن تقتلوا منا كريماً فإننا قتلنا به مأوى الصعاليك أشيماً
جدعنا به أنف اليمامة كلها فأصبح عرنين اليمامة أكثماً
قتلنا به خير الضبيعات كلها ضبيعة قيس لا ضبيعة أضحماً

- وكانت دليلاً على السخاء والإيثار، فقد روي عن عبد الملك بن مروان أن من زعم حاتماً أسمح الناس فقد ظلم عروة بن الورد. وكان عظيم الإعجاب بقوله:

أتهزأ مني أن سمنت وأن ترى بجسمي مس الجوع والجوع جاهد؟
لأنني امرؤ عافى إنائي شركة وأنت امرؤ عافى إنائك واحد
أقسم جسمي في جسم كثيرة وأحسوقراح الماء والماء بارد
نخرج من هذا أن نزعاتهم تتضح في عدة مظاهر:

- كراهية الأغنياء البخلاء، والسطو على أموالهم، أما الأغنياء الكرماء فإنهم لا يقربون أموالهم.

- المساواة في الغنائم، لأنهم كانوا يقتسمون ما يغنمون، وكانوا يتساوون في القسمة، فلا يختص الرئيس نفسه بنصيب أكبر من غيره.

أغار عروة وأصحابه وغنموا غنائم كثيرة، وكان في الغنائم امرأة، فأراد أن يستأثر بها ويقوم أصحابه ثمنها عليه، فرفضوا، وقالوا: نقومها بإبل، ثم يكون كل واحد منا حراً في أن يأخذها إذا شاء.

- كانوا ذوي نجدة وعطف على الفقراء العاجزين عن الكسب والغارة، فكانوا يعطونهم من الأسلاب أنصبه مثل أنصبتهم.

- لم يجدوا عيباً في عملهم، بل إنهم فاحروا به، ورأوه نوعاً من الفتوة والقصاص من البخلاء، والاشتراكية القسرية، والتضامن الاجتماعي.

قال أحد الصعاليك مفتخراً:

وعياصة للجود لم يدر أنني بإنهاب مال الباخلين موغل
غدوت على ما احتازه فحويته وغادرتة ذا حيرة يتململ

وروي عن أحدهم - عثمان الخياط، ولقب بهذا لمهارته في سد النقب الذي ينقبه في الجدار للسرقة سداً محكماً كأنه خاطه - أنه قال: (ما سرقت جاراً وإن كان عدواً، ولا كريماً، ولا كافأت غادراً بغدره).

● ونصح أصحابه بقوله: اضمنوا لي ثلاثاً أضمن لكم السلامة، لا تسرقوا الجيران، واتقوا الحرم، ولا تكونوا أكثر من شريك مناصف، وإن كنتم أولى بما في أيديهم لكذبهم وغشهم وتركهم إخراج الزكاة وجحود الودائع.

- وجاء في نصيحته لزملائه: جسروا صبيانكم على المخارجات، وعلموهم الثقافة، وأحضروهم ضرب الأمراء أصحاب الجرائم، لئلا يجزعوا إذا ابتلوا بذلك، وخذوهم برواية الأشعار من الفرسان، وحدثوهم بمناقب الفتيان وحال أهل السجون.

ولهذا كان الصعاليك يعدون أنفسهم أحسن حالاً من الحاكم المرتشي، ومن القاضي الذي يأكل أموال اليتامى كما يقول الراغب الأصفهاني في (محاضرات الأدباء / ٢ / ١٠٩).

خصائص أدبهم:

أما أدبهم فيمتاز بعدة خصائص:

- أنه يصور ضرباً من الأخلاق والنزعات لا نجده في غيره.

- شعرهم يصور نفسياتهم وأعمالهم، فهو صدى للواقع.

- يتميز شعرهم بوحدة الموضوع، فليس فيه مقدمات تمهيدية من غزل وبكاء أطلال ووصف لرحيل أو رواحل أو استطراد إلى موضوع آخر.
- أكثر شعرهم مقطعات لا قصائد، ولعل مرد هذا إلى أنهم ذوو خفة وسرعة واختلاس، لم يألّفوا التمهّل والتروي والتنميق، فجاء شعرهم صورة من حياتهم.
- ليس في شعرهم غزل، وكيف يتغزل من يقضي نهاره يترقب، وليله يترصد، ولا يستقر في مقام؟
- يكثرون من توجيه الخطاب في شعرهم إلى زوجاتهم.

القسم الثاني:

ديوان عروة بن الورد (*)

شرح وتصحيح وتحقيق

* بالإضافة إلى جمعنا أشعار عروة بن الورد من كتب الأدب القديمة عدنا إلى أكثر من نسخة لأشعاره المحفوظة بدار الكتب المصرية.

أكلكم مختار؟! (٥)

- أياراكباً!! إما عرضت، فبلغن
أكلكم مختاراً دارحلها،
وأبلغ بني عوذ بن زيدر سالةً،
فإن شئتم عني نهيككم سفيهكم،
وإن شئتم حاربتموني إلى مدي،
فيلحق بالخيرات من كان أهلها،
بني ناشب عني، ومن يتنشب^(١)
وتارك هدم ليس عنها مذنب^(٢)
بآية ما إن يقصبوني يكذبوا^(٣)
وقال له ذو حلمكم: أين تذهب؟
فيجهدكم شأو الكظاظ المغرب^(٤)
وتعلم عبس رأس من يتصوب^(٥)

(●) هذه القصيدة يذكر فيها بني ناشب، وهي قبيلة من عبس.

- (١) يتنشب أي ينتسب إلى بني ناشب.
(٢) الهدم بضم الهاء، الواحد هدم بكسر الهاء ومعناها الشيخ الكبير، المذنب: الذي عليه ذنب. وربما كانت هدم جمعاً لهدم بفتح الهاء: أي دماء مهدورة، لا يحمل عنها ذنباً.
(٣) يقصبوني: يشتموني.
(٤) الكظاظ هو ما يملأ القلب من الهم والتعب والشدة. المغرب أي البعيد.
يقول: يجهدكم هذا الشأو الذي أسبقكموه، فتطلبون ولا تدركون فيجهدكم.
(٥) بالخيرات أي بذوي الشرف. يتصوب: ينحدر، أراد: يطأطئ من لم يبلغ ذلك رأسه.

وكان في قيس!!

لا تُلْمُ شيخي ، فما أدري به ، غير أن شارك نهداً في النسب
كان في قيسٍ حسيباً ماجداً ، فأنت نهدٌ على ذاك الحسب^(١)

(١) أي كان في بني قيس له المجد واليد الطولى ، وهو أعلى هذا الحسب .

بين أسماء وليلى (٥)

إن تأخذوا أسماء، موقفَ ساعةٍ،
لبسنا زماناً حُسْنَهَا وشبابَهَا،
كما أخذنا حسناً كُرْهَا، ودمعُهَا،
فمأخذُ ليلي، وهي عذراء، أعجب
وردت إلى شعواء، والرأس أشيبُ (١)
غداة اللوى، مغصوبةً، يتصبَّبُ

(٥) أخذ بنو عامر امرأة من بني عبس، ثم من بني سكين، يقال لها أسماء، فما لبثت عندهم إلا يوماً حتى استنقذها قومها، فبلغ عروة أن عامر ابن الطفيل قد فخر بذلك الأمر، وذكر أخذه إياها، فرد عروة عليهم يعيرهم بأخذه ليلي بنت شعواء الهلالية.
(١) أي أهلها، والشعواء عند العرب الغارة المتفرقة.

سؤال إلى الصعلوك

- إذا المرء لم يبعث سواماً ولم يُرح
فللموت خير للفتى من حياته
وسائلة: أين الرحيل؟ وسائل،
مذاهبُه أن الفجّاج عريضة،
فلا أترك الإخوان، ما عشت للردى،
ولا يستضام الدهر، جاري، ولا أرى
وإن جارتني ألوت رياح بيتها،
عليه، ولم تعطف عليه أقاربُه^(١)
فقيراً، ومن مولى تدب عقاربُه^(٢)
ومن يسأل الصعلوك: أين مذاهبُه؟^(٣)
إذا ضنّ عنه، بالفعال، أقاربُه^(٤)
كما أنه لا يترك الماء شاربُه
كمن بات تسري للصديق عقاربُه
تغافلت، حتى يستر البيت جانبُه^(٥)

(١) السوام: الماشية والإبل الراعية. يرح عليه: أي ترد إليه إلى مراحتها.

(٢) المولى: ههنا ابن العم.

(٣) الصعلوك: عند العرب، تعبير يطلق على اللص الفقير، وهو، مطلقاً، الفقير،

(٤) الفجّاج، الواحد فج: أي الطريق الواسع الواضح بين الجبلين.

(٥) ألوت رياح بيتها: أي ذهبته به وألقته.

ستشبع أو تموت!

- أفي نابٍ منحناها فقيراً، له بطنابنا طنْبُ مصيْتُ^(١)
 وفضله سمنة ذهبته إليه، وأكثر حقه ما لا يفوتُ^(٢)
 تبيتُ، على المرافق، أمُّ وهبٍ، وقد نامَ العيونُ، لها كتيتُ^(٣)
 فإن حميتنا، أبداً، حرامٌ، وليس الجار منزلنا حميتُ^(٤)
 ورُبَّتْ شبعةٍ آثرتُ فيها، يداً، جاءت تغيرُ، لها هنيئُ^(٥)
 يقول: الحقُّ مطلبُّه جميلٌ، وقد طلبوا إليك، فلم يقيتوا^(٦)
 فقلت له: ألا أحي، وأنت حرٌّ، ستشبعُ في حياتك، أو تموت
 إذا ما فاتني لم أستقله حياتي، والملائم لا تفوتُ^(٧)

- (١) الناب هي الناقة المسنة. طنابنا: أطنابنا، الواحد طنْب: وهو حبل طويل يشد به سرادق البيت، أي الخيمة، أو يشد به الودد. المصيت: أي يسمع صوته.
 (٢) السمنة: السمن. يقول: أكرمت الفقير ولا يستحق هذا الإكرام الشكر لأنه ما يجب له علينا أكثر مما منحناه.
 (٣) المرافق، الواحد مرفق: الموصل بين الساعد والعضد. أراد تنام مسندة رأسها على ذراعيها. الكتيت: صوت غليان القدر، استعاره لشخيرها. أم وهب: زوجته.
 (٤) الحميت: هو السقاء يرب بالرب، فإذا فعل ذلك به فهو حميت يطيب بالرب ثم يصير السمن فيه، يقول: هذا حرام علينا لا نذوقه وليس لجارنا مثله.
 (٥) الشبعة: مقدار ما يشبع مرة. آثرت: فضلت. يقول: ربت ليلة قريت فيها جائعاً، وأخو الشبع لا يعلم بي.
 (٦) يقيتوا، من أفاته: أعطاه قوته.
 (٧) إذا ما فاتني: أي فاتني الحق. لم أستقله. أي لا أقدر أن أردّه. الملائم يريد الملامة.

وقد علمتُ سليماً أن رأيي
وأني لا يُرني البخلَ رأيٌ،
وأني، حين تشتجرُ العوالي
وأكفي، ما علمتُ، بفضلِ علمٍ،

ورأي البخلِ مختلفُ شتيتُ
سواءُ إن عطشتُ، وإن رويت
حوالي اللبِّ، ذورأيٍ، زميت^(٨)
وأسأل ذا البيان، إذا عميت

(٨) حين تشتجر العوالي: هو اختلاط بعضها ببعض في الحرب. حوالي: بالتشديد فحفف.
يقال للمحتال من الرجال إنه حوالي. اللب: يعني به العقل. الزميت: أي الجليل الوقور.

يا أهل الكنيف..!!

قلتُ لقومٍ ، في الكنيف تروحوا ، عشيةً بتنا عند ماوان ، - رزح^(١)
تنالوا الغنى ، أو تبلغوا بنفوسكم إلى مستراحٍ من حمامٍ مبرحٍ^(٢)
ومن يكُ مثلي ذا عيالٍ ومقتراً من المالِ ، يطرح نفسه كل مطرح^(٣)

(*) تابعت على معد سنوات عجاف جهدن الناس جهداً شديداً؛ وكانت غطفان من أحسن معد فيها حالاً، وترك الناس الغزو لجذوبة الأرض، وكان عروة أمير الصعاليك في تلك السنين غائباً، فرجع مخففاً قد ذهب إبلة وخيله وجاء إلى قومه، فندب منهم رهطاً، فخرجوا معه، فخر لهم بغيراً، وحملوا سلاحهم على بغير آخر، وقدد لهم بغيراً، فوزعه بينهم، وخرج يريد أرض قضاة، وقصد، قبل، أرض بني القين، فمر بمالك بن حمار الفزاري، فقال له مالك: أين تنطلق بفتيانك هؤلاء تهلكهم ضيعة؟

قال: إن الضيعة ما تأمرون به أن أقيم حتى أهلك هزلاً!
فقال: إن أطعنتي رجعت على حرسين (حرس واد بنجد، وقد ثناه إرادة لشيء آخر)، فكان طريقك حتى تأتي قومي فتكون فيهم.

قال: فما أصنع بمن كنت عودتهم، إذا جاؤوني واعتروني؟
قال: تعتذر، فيعذرونك، إذا لم يكن عندك شيء.
قال: لكن أنا أعذر نفسي بترك الطلب.

فقال عروة يذكر شدة أهل الكنيف ومن بماوان وقيامة بأمرهم حتى صلحوا، وندبه إياهم حتى خرجوا معه.

(١) تروحوا: ساروا بالروح، العشى. ماوان: وادٍ فيه ماء فيما بين النقرة والريضة. رزح: قد سقطن من الإعياء وهو نعت قوم، وكانت منازل بني عبس فيما بين أبانين والنقرة وماوان والريضة.

(٢) المستراح: الاستراحة. الحمام المبرح: الموت الشديد. يقول: تزودوا من هذا المكان لعلكم تنالون الغنى، فتستريحوا من هذا الجوع والعناء.

(٣) مقتر: مقل. يقول: نخرج فنطلب فإن أصبنا رغبة فذلك الذي نريد وكنا نطلب، وإن رجعنا مخفقين لم نصب شيئاً في غزوتنا فلم نقعد عن الطلب ولم ندع غاية قد كنا أعذرنا في الطلب، فإن عمل هذا كان قد بلغ من نفسه عذرها وكان كأنه قد أنجح حين لم يقعد عن الطلب.

ليبلغ عذراً، أو يصيبَ رغبةً،
لعلكم أن تصلحوا بعدما أرى
ينوؤون بالأيدي، وأفضل زادهم
ومبلغ نفسي عذرها مثل منجح
بنات العضة الثائب، المتروح^(٤)
بقية لحم من جزورٍ مملح^(٥)

(٤) بنات العضة الثائب: أي كما يؤوب العضة ويثوب ورقة بعد الورق الذي سقط. والعضة كل ما كان من شجر البر له شوك من طلع أو سمر. المتروح: الذي استقل البرد فوجد مسه يقطر ورقة من غير مطر. فمثل أصحاب الكنيف بهذا، فقال لهم: لعلكم تصلحون بعد ما أرى بكم من الجهد والهزال وتنبت لحومكم كما صلحت هذه العضة بعد اليبس.
(٥) يقول: هؤلاء أصحاب الكنيف مجهدون فلا يقدرّون من جهدهم أن يستقلوا حتى يعتمدوا على أيديهم، فيقول: أخرجتهم من ماوان وأفضل زادهم لحم بعير قد دته فوزعته بينهم. مملح: به أدنى شيء من شحم، والملح هو الشحم.

حاشية: المخاطرة ليست بالجسم ولكنها بالنفس، وهي الإمكانية المتبقية أمام عروة في تقديره أو في تقدير زوجاته للخروج من ذلك الفقر المنفع الطاحن، حيث لا مال، ولا قريب يعين. وقد كان ذلك سبباً أساسياً من أسباب تصعلك عروة بن الورد بصفة خاصة.

ولهذا نرى أن كل منايا النفس عند عروة خير من العجز وعدم القدرة على الكسب ولوم الزوجة، وجوع الصغار.

ويلفت النظر أن (النفس) التي أشقت عروة وأشقاها قد برزت في مواضع ثلاثة شريكة للشاعر في معاناته.. ففي **الموضع الأول**: (تبلغوا بنفوسكم إلى مستراح من حمامٍ مبرح). والحمام المبرح هو الموت الشديد... وقد أسنده عروة للنفس، فالنفس هي التي تستمتع وتأمل وتموت. وفي **الموضع الثاني**: (يطرح نفسه كل مطرح) جعل الشقاء بحثاً عن لقمة العيش للنفس أيضاً.. وفي **الموضع الثالث**: (ومبلغ نفس عذرها مثل منجح.. أسند النجاح والفشل للنفس، وجعل اللوم والعذر لها أيضاً.

ويتهيئ عروة إلى أن كل منايا النفس خير من العجز والقعود عن المخاطرة فيقول:

أقيموا بني لبنى صدوركم بكم
فكل منايا النفس خير من الهزل
[راجع قافية اللام].

دعوة لامتحان مالك

إذا آذاك مالك، فامتهنه
وإن أخنى عليك، فلم تجده،
فرغم العيش إلف فناء قوم،
لجاده، وإن قرع المراح^(١)
فنبت الأرض والماء القراح^(٢)
وإن آسوك، والموت الرواح^(٣)

(١) الجادي: طالب الجدوى، المعروف. قرع: فرغ. المراح: الموضع يروح القوم منه وإليه.
(٢) أي اكتف بنبت الأرض والماء العذب.
(٣) أي أن العيش الذي تعيش مرغماً هو مؤلفتك فناء الناس وإن عاونوك وعزوك. الرواح، من راح القوم وإليهم وعندهم: ذهب إليهم.

حاشية:

يقول عروة بن الورد:

[إذا آذاك مالك فامتهنه
وإن أخنى عليك فلم تجده
لجاده وإن قرع المراح
فنبت الأرض والماء القراح]
إن الإنسان إذا أراد أن ينتصر على الزمان والمكان إذا واجه كل قهر بصبر وثبات،
ورفض كل ما من شأنه أن يستذله.

فالطبيعة هي الملاذ الذي يلجأ إليه الإنسان الراض للذل، ولا شك أن هذا الإباء يتحدد على مستوى فردي فليست كل نفس تأبى الضيم، وما كل الناس يكتفون بنبت الأرض والماء رفضاً لأي ذل، فإن الإنسان عليه أن يختار والاختيار رفض وقبول لأنه يقوم على المفاضلة.

قالت تماضر

قالت تماضر، إذ رأت مالي خوى
مالي رأيتك في الندى منكساً
خاطر بنفسك كي تصيب غنيمَةً؛
المال فيه مهابةٌ وتجلّة؛
وجفا الأقارب، فالفؤاد قريح^(١)
وصباً، كأنك في الندى نطيح^(٢)؟
إنّ القعود، مع العيال، قبيح
والفقر فيه مذلةٌ وفضوح

(١) خوى: فرغ.

(٢) الوصب: المريض. النطيح، من نطحه الثور بقرنه: أصابه به، ونطحه فلان: دفعه عنه وأزاله.

حاشية:

قد تكون المخاطرة بالنفس أمراً محتوماً أمام قسوة الواقع المعاش، وربما كانت ضرورات الحياة واقتناص العيش سداً للحاجة، ودرءاً لخطر الموت جوعاً وراء خروج كثير من الشعراء الصعاليك للسلب والنهب. . . وتمثل المرأة في شعر الصعاليك صورة للأنثى، أو صوتاً من أصوات الشاعر الداخلية، فتراهم يتحاورون مع أنفسهم من خلال حوارهم مع الزوجة وهي هنا (تماضر) زوجة عروة بن الورد أمير الصعاليك.

وفي هذه الأبيات يبدو الفقر وحشاً ينشب أنيابه في نفس عروة. ويتضح من هذه الأبيات أثر المرأة المباشر في تمرد الجاهلي على واقعه، فالمرأة تواجه هذا الزوج بتلك الحقيقة المرة، فالمال قد خوى وجفا الأقارب، والرجل أمسى منكساً، والقعود مع العيال قبيح.

كما أن الفقر مذلة وفضوح، ولهذا يجب عليه أن يخاطر على الفور بنفسه كي يصيب غنيمَةً ومالاً، فالمال فيه مهابة وتجلّة، والفقر شر لا يمكن احتماله، والغنى خير عسير مناله. والنتيجة الحتمية هي الخروج عن الجادة، والمخاطرة، وطلب الغنيمّة. نفس ناثرة تشعر بظلم واقع عليها، الفقر وصفاء الأقارب، ولا يبقى إلا أن يخرج المادة من قمقمه، وأن تحطم النفس المتمردة بطبيعتها، والمتمردة بسبب ما يحيط بها من قهر - كل الأسوار.

إِسْأَلُ بَنِي عِيْلَانِ!

هَلَّا سَأَلْتَ بَنِي عِيْلَانِ كُلَّهُمْ ، عِنْدَ السَّنِينَ ، إِذَا مَا هَبْتَ الرِّيحَ
قَدْ حَانَ قِدْحُ عِيَالِ الْحَيِّ إِذْ شَبَعُوا ، وَآخِرُ لَذْوِي الْجِيرَانِ مَمْنُوحٌ^(١)

(١) حَانَ: قَرَبَ، أَوْ هَلَكَ. الْقِدْحُ: سَهْمُ الْمَيْسِرِ. لَعَلَّهُ أَرَادَ أَنَّ عِيَالَ الْحَيِّ حِينَمَا شَبَعُوا هَلَكَ مَا أَصَابَهُمْ مِنَ الْجُزُورِ، الَّذِي تَيَاسَرُوا عَلَيْهِ، أَيْ جَزْأُوهُ وَاقْتَسَمُوهُ سَهَامًا.

إذا أردت المجد

ما بي من عارٍ إخال علمتُهُ، إذا ما أردتُ المجدَ قصّرَ مجدهم،
فأعيا عليّ أن يقاربنى المجدُ، فيا ليتَهُمْ لم يضربوا في ضربة،
وأني عبْدٌ فيهِمْ، وأبي عبْدُ ثعالِبُ في الحربِ، فإن تبُخ،
وتنفرجِ الجُلَيِّ، فإنهم الأسدُ^(٢)

(١) نهْد: اسم قبيلة في بلاد اليمن.

(٢) تبُخ: أي تنطفئ الحرب.

الشراء والفعال (٥)

ما بالشراء يسود كل مُسَوِّدٍ، مثر، ولكن، بالفعال، يسود^(١)
 بل لا أكائرُ صاحبي في يسره، وأصدُّ إذ في عيشه تصريد^(٢)
 فإذا غنيتُ، فإنَّ جاري نيلُهُ من نائلي، وميسري معهود^(٣)
 وإذا افتقرتُ، فلن أرى متخشعاً لأخي غنى، معروفه مكدود^(٤)

● قيل أن عروة بن الورد بلغه عن رجل من بني كنانة ابن خزيمة أنه من أبخل الناس وأكثرهم مالاً، فبث عليه عيوناً، فأتوه بخبره، فشد على إبله، فاستاقها ثم قسمها في قومه، فقال عند ذلك الأبيات السابقة.

(١) الفعال هو الفعل الحسن أو الكرم.

(٢) تصريد: تقطيع.

(٣) الميسر: من يسره له: سهله، ووقفه له.

(٤) معروفه مكدود: أي أن عطاءه يخرج منه بجهد لبخله.

حاشية:

يقول عروة:

ما بالشراء يسود كل مسود مثر، ولكن بالفعال يسود

لا شك أن قوة التحمل من المآثر التي أشاد بها كثير من الشعراء الجاهليين، ولكنها عندهم تتأكد على مستوى بطولي ملتزم بالجماعة، في حين أنها تتأكد في أشعار الصعاليك على مستوى بطولي رافض، إلى جانب ما تفيض به من المعاناة الإنسانية، ثم إن قوة التحمل عند غير الصعاليك لا تبرز بنفس الصورة كما نرى على سبيل المثال في شعر عنترة بن شداد العبيسي، وفي شعر حسان بن ثابت.

القيمة عند غير الصعاليك تمثل منطلقاً للتفوق في الجماعة والتميز في إطارها أما عند الصعاليك فإنها تبدو بمثابة تبرير لسلوكهم المتفرد، ورفضهم للقهر الواقع عليهم، وميلهم إلى التوحش والتعدي والمخاطرة.

ونحن نقدم عروة بن الورد بوصفه انموذجاً للشاعر الصعلوك الذي ينتمي لقبيلته، وإن كانت أمه كما صرح هو في شعره غريبة عن هذه القبيلة.

وفي البداية نرى عروة يرفض أن يكون الثراء أساساً للسيادة وهو بهذا يرفض منطلق المجتمع الذي يعيش فيه .

ثم يضع عروة الإطار المقابل الذي يراه فيقول :

[بل لا أكائر صاحبي في يسره	وأصد إذ في عيشه تصريد
فإذا غنيت فإن جاري نيله	من نائلي وميسري معهود
وإذا افتقرت فلن أرى متخشعاً	لأخي غنى معروفه مكدود]

فعروة حين رفض أن يكون الثراء هو أساس السيادة والتقدم حاول أن يجعل للسيادة أساساً آخر . بالأخلاق في الغنى والفقر . فهو لا يكثر في يسره صاحباً ، ولا يصد عنه في فقره ، فينل جاره من نيله ولا يرى متخشعاً لغنى بخيل .

ولكن عروة وجد من الصعب أن يغير من الواقع ومن نظرة المجتمع الغنى والفقر ووجد لزاماً عليه أن يطلب الغنى حتى يصبح واحداً من السادة الحقيقيين في إطار الرؤية القبلية . يقول عروة :

[دعيني للغنى أسعى فإني	رأيت الناس شرهم الفقير
وأبعدهم وأهونهم عليهم	وإن أسى له حسب وخير
ويقصه الندى وتزدريه	حليته وينهره الصغير
ويلقى ذو الغنى وله جلال	يكاد فؤاد صاحبه يطير
قليل ذنبه ، والذنب جم ،	ولكن للغنى رب غفور]

فالناس في ذلك المجتمع شرهم الفقير وهو أهون الناس وإن كان ذا حسب وخصال كريمة ، تزدريه حليته وينهره الصغير ، ولكن الغنى يبدو ذا جلال ومهابة يطير لها فؤاد صاحبه ، وذنبه قليل وإن كثر ، فديدن الناس أن يغفروا للغنى ذنوبه .

والنموذج يكشف عن الواقع وما فيه من مفارقة ، ويكشف عن رفض الشاعر لهذا الواقع ومعاناته منه لما فيه من قسوة وبعد عن الجادة ، ولهذا يقدم عروة بن الورد خلاصة تجربته من أسلوب شرط قائلاً :

[إذا المرء لم يبعث سواها ولم يرح	عليه ولم يعطف عليه أقاربه
فالموت خير للفتى من حياته	فقيراً ومن مولى تدب عقاربـه]

فالمرء إذا لم يكن مالكاً لإبلٍ وماشية ، وإذا لم تعطف عليه أقاربه ، فإن الموت خير له من الحياة فقيراً لا يلقى من ذويه سوى الضن والأذى .

.....

إن القبيلة هنا قد تخلت عن مسؤوليتها نحو هذا الشاعر، ولم يلمس فيها ما يسمى بالتكافل الاجتماعي، فليس فيها من يتحمل عن ذوي قريابه، لقد بخلوا بخيرهم، فما كان أمامه إلا أن يستغني عنهم.

فالصورة التي قدمها الشعراء الجاهليون للقبيلة الملتزمة بأفرادها بعيدة عن هذه الصورة التي واجهها عروة بن الورد، فأين هؤلاء الناس من قوم الخرنق أخت طرفة الذين وصفتهم بقولها:

[والخالطون تحيتهم بنضارهم وذوي الغنى منهم بذي الفقر]
(ديوان الخرنق، ص ٣٠)

أو الذين وصفهم طرفة بن العبد البكري بقوله:

[لا يلحون على غارمهم وعلى الأيسار تيسير العشر]
(ديوان طرفة، ص ٨٧)

لقد افتقد عروة النموذج الفاضل للمجتمع، ولهذا تمرد على هذا المجتمع، وثار على منطقته وما فيه من مفارقة، وعروة حريص على أن يكشف عن ظروفه الخاصة التي دفعته إلى التصعلك، فنراه يقول في قافية الحاء:

[ومن يك مثلي ذا عيال ومفترأ من المال يطرح نفسه كل مطرح
ليبلغ عذراً أو يصيب زغيبة ومبلغ نفسي عذرها مثل منجح]

ما الدهر؟ (٥)

جزي الله خيراً كلما ذكر اسمه ،
 وزود خيراً مالكاً ، إن مالكاً
 فهم يطربن في إثركم ، من تركتم ،
 تولى بنوزيان عنا بفضلهم ،
 ليهنى شريكاً وطبّه ولقأحه ،
 وما كان منا مسكناً ، قد علمتم ،
 ولكنها ، والدهريوم وليلة ،
 وقلت لأصحاب الكنيف : ترحلوا ،
 أبا مالك ، إن ذلك الحيّ أصعدوا (١)
 له ردةً فينا ، إذا القوم زهد (٢)
 إذا قام يعلوه حلال ، فيقعد (٣)
 وودّ شريكاً لونسير ، فتبعد
 وذو العس ، بعد النومة ، المبرد (٤)
 مدافع ذي رضوى ، فعظم ، فصندد (٥)
 بلاد بها الأجناء ، والمتصيد (٦)
 فليس لكم ، في ساحة الدار ، مقعد (٧)

(●) يقال أن هذه القصيدة قالها في رجل يدعى حمار الفزاري أو مالك بن حمار الفزاري .

(١) أصعدوا : أي ارتفعوا في البلاد .

(٢) ردة : أي بقية . إذا القوم : أراد جميع العشيرة .

(٣) يطربن : الطرب خفة تأخذ من فرح أو حزن . الحلال : الضعف ، الواحد حلة .

(٤) الوطب : سقاء اللبن . الناقة الحلوب . ذو العس : اللبن . والعس : القدح الكبير .

(٥) مدافع ذي رضوى ، وعظم ، وصندد : كلها أسماء أمكنة .

(٦) الأجناء ، الواحد جنى : الثمر . المتصيد : من الصيد .

(٧) الكنيف : حظيرة من الشجر .

أنا وأنت (٥)

إني امرؤ عافى إنائي شركة، وأنت امرؤ عافى إنائك واحد^(١)
أتهزأ مني أن سمنت، وأن ترى بوجهي شحوب الحق، والحق جاهد^(٢)
أقسم جسمي في جسوم كثيرة، وأحس قراح الماء، والماء بارد^(٣)

(●) هذه الأبيات التي من أجلها قال عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي: ما يسرني أن أحداً من العرب ممن ولدني، لم يلدني، إلا عروة بن الورد لقوله هذه الأبيات.

(١) عافى إنائي شركة: أي يأتيني من يشركني فيه. يقول: أملأ إنائي لبناً حتى يفيض ويكثر، فإن طرقتني إنسان وجد ذلك مهياً له وكان شريكاً فيه قل أو كثر عندي، وأنت امرؤ عافى إنائك واحد أي تستأثر به لنفسك وحدك دون أضيافك فتشبع وهم يجوعون وأنا أهزل وأضيافي يسمنون.

(٢) الحق جاهد: أي يجهد الناس.

(٣) أقسم جسمي: أي قوت جسمه، طعامه: يقول: أقسم ما أريد أن أطعمه في محاويع قومي ومن يلزمني حقه والضيفان. أحس قراح الماء: الذي لا يخالط لبن ولا غيره. والماء بارد: أي في الشتاء فذلك أشد.

ديار سلمى (١)

أرقتُ وصحبتني ، بمضيّق عمق ، لبرقٍ ، في تهامة ، مستطير^(٢)

(١) أصاب عروة امرأة من بني كنانة بكراً يقال لها سلمى ، وتكنى بأُم وهب ، فأعتقها واتخذها لنفسه ، فمكثت عنده بضع عشرة سنة ، وولدت له أولاداً ، وهو لا يشك في أنها أرغب الناس فيه ، وهي تقول له : لو حججت بي ، فأمر على أهلي وأراهم . فحج بها فأتى مكة ثم أتى يثرب ، وكان يخالط من أهل يثرب بني النضير ، فيقرضونه إن احتاج ويبيعهم إذا غنم . وكان قومها يخالطون بني النضير ، فأتوهم ، وهو عندهم ، فقالت لهم سلمى : إنه خارج بي قبل أن يخرج الشهر الحرام . ففعالوا إليه وأخبروه أنكم تستحيون أن تكون امرأة منكم معروفة النسب ، صحيحة سبية ، وافدونني منه ، فإنه لا يرى أن أفارقه ، ولا أختار عليه أحداً . فأتوه ، فسقوه الشراب ، فلما ثمل قالوا له : فادنا بصاحبتنا ، فإنها وسيطة النسب فينا ، معروفة ، وإن علينا سبة أن تكون سبية ، فإذا صارت إلينا وأردت معاودتها ، فاخطبها إلينا ، فإننا ننكحك .

فقال لهم : ذاك لكم ، ولكن لي الشرط فيها أن تخبروها ، فإن اختارتني انطلقت معي إلى ولدها ، وإن اختارتكم انطلقتم بها . قالوا : ذاك لك .

قال : دعوني الليلة وأفاديها غداً . فلما كان الغد جاؤوه فامتنع من فدائها . فقالوا له : قد فاديتنا بها منذ البارحة ، وشهد بذلك جماعة ممن حضر ، فلم يقدر على الامتناع وفادها . فلما فادوه بها خيروها فاختارت أهلها ، ثم أقبلت عليه فقالت :

يا عروة ! أما إني أقول فيك ، وإن فارقتك ، الحق . والله ما أعلم امرأة من العرب ألفت سترها على بعلٍ خير منك وأغض طرفاً وأقل مخشاً وأجود يدأً وأحمى للحقيقة . وما مر علي يوم ، منذ كنت عندك ، إلا والموت فيه أحب إليّ من الحياة بين قومك لأنني لم أكن أشاء أن أسمع امرأة من قومك تقول : قالت أمة عروة كذا وكذا ، إلا سمعته . والله لا أنظر في وجه غطفانيه أبداً . فارجع راشداً إلى ولدك وأحسن إليهم . فقال عروة بن الورد الأبيات السالفة . (٢) عمق اسم بلدة بالمدينة . مسيطر منتشر في الأفق .

إذا قلت استهلّ على قديد،
تكشفُ عائذٍ بقاء، تنقى
سقى سلمى، وأين ديار سلمى،
إذا حلت بأرض بني عليّ،^(٦)
ذكرت منازلًا من أم وهب،
وأحدثُ معهداً من أم وهب،
وقالوا: ما تشاء؟ فقلت ألهو
بأنسة الحديث، رُضاب فيها،
أطعتُ الأمرين بصرم سلمى،
سقوني النسء، ثم تكنفوني
وقالوا: لست بعد فداء سلمى،

يحوّر ربأبه حور الكسير^(٣)
ذكور الخيل عن ولدٍ، شفور^(٤)
إذا حلت مجاورة السرير^(٥)
وأهلي بين زامرة وكير
محل الحي أسفل ذي النقيير^(٧)
معرسنا بدار بني النضير
إلى الاصباح، أثر ذي أثير^(٨)
يُعيد النوم، كالعنب العصير^(٩)
فطاروا في عضاه يستعور^(١٠)
عُداهُ الله من كذبٍ وزور^(١١)
بمغنٍ، مالديك، ولا فقير

- (٣) قديد: محل من مكة على مرحلتين. استهل: أي صات. ربابة: سحابة. يحور: يرجع. الكسير: الذي يبطل في المشي.
- (٤) تكشف عائذ: أي يتكشف البرق تكشف عائذ. والعائذ: الحديثة النتاج، وتكشفها أنها تشفر برجليها وترفع يديها لتنحي ذكور الخيل عن ولدها فيبدو بلق بطنها، فشبّه البرق في سواد الغيم ببياض هذه الفرس في سواد بطنها. شفور: هي التي تشفر برجليها، والشفر رفع الرجلين جداً، وإنما يعني رمحها. وشفور: من صفة العائذ.
- (٥) السرير: موضع في بلاد كنانة.
- (٦) بنو علي: قوم من كنانة. زامرة وكير: موضعان.
- (٧) ذو النقيير: ماء لبني الغيبين ولكلب.
- (٨) أثر ذي أثير: مثل قولك أول كل شيء.
- (٩) الأنسة: غير النفور. الرضاب: قطع الريق.
- (١٠) الاستغور: موضع فيه عضاة من سمر وطلح. ومعناه: أطعت الذين أمروني بأخذ الفداء ففرقوا عني وطاروا إلى أرض بعيدة لا يكاد يدخلها أحد إلا يرجع من خوفها.
- (١١) سقوني النسء: يقال لكل مسكر نسء. يقول: سقوني نساً أنساني الحب الذي كنت أجده.

ألا وأبيك، لو كاليوم أمري،
 إذاً لملكْتُ عصمة أم وهب،
 فيا للناس! كيف غلبتُ نفسي
 ألا ياليتني عاصيتُ طلقاً،
 ومن لك بالتدبير في الأمور^(١٢)
 على ما كان من حسك الصدور^(١٣)
 على شيء، ويكرهه ضميري
 وجباراً، ومن لي من أمير^(١٤)

(١٢) أي لو كنت يومئذ مثل اليوم أملك أمري لم أفارقها.
 (١٣) يقال عصمة فلانة بيد فلانة: أي ملك أمرها. يقول: إذاً لأمسكتها فكنت مالك أمرها على ما بيني وبين قومها من العداوة. الحسك هو الغل والعداوة.
 (١٤) الأمير هنا: المستشار. وطلق وجبار: أخوه وابن عمه.

حاشية:

إن الغربية تمثل اغتراباً للذات، فالذات حين تكون في مواجهة الآخرين، وحين تفتقد الاحساس بالوحدة، فإنها تغترب عن الجماعة ويمكننا أن نطلق على هذا النمط اغتراب الذات، حيث تمثل الذات كلا، يرفض كليه تبدو لصاحبها زائفة أو غير مجدية - أما الاغتراب عن الذات، فإنه يجيء عندما تكون الأنا الأعلى في حالة انفصال عن الهو وعندما يجد الإنسان أنه يسلك السلوك الذي لا يرضاه هو، والذي لا يتفق مع قيمه ومثله ونماذجه العليا، أو عندما يشعر بعدم جدوى ما يفعله، ومع ذلك يظل مندفعاً في فعله - يقول عروة:

فيا للناس كيف غلبت نفسي على شيء ويكرهه ضميري

في البيت السادس والبيتين الأخيرين من هذه القصيدة - نجد أن الإنسان قد يضطر إلى أن يغلب نفسه على أمر يخالف ضميره، فيتعذب ويتألم لذلك. وتبدو نفس عروة هنا أكثر إدراكاً للصواب من عروة نفسها، وتبدو النفس والضمير بمثابة القوة البصيرة عند الشاعر، ولهذا فإن مغالبة النفس كانت مرفوضة لدرجة كراهية الضمير لذلك. وقد وصل الأمر بعروة إلى أن يقف من نفسه موقف العاذل اللائم. ويكشف الاستفهام عن حيرة عروة وإنكاره لما حدث من إكراه نفسه على شيء يكرهه ضميره. وجملة «يكرهه ضميري» في البيت القبل الأخير في موضع الحال، وقد تكون الواو زائدة والجملة في موضع النعت، ولا يصح أن تكون الواو عاطفة إذ التقدير: وكيف يكره هذا الشيء ضميره، ويكون الإنكار إكراه الضمير إكراه نفسه لا لمغالبة نفسه، والعكس صحيح.

الحنين إلى سلمى (*)

تحن إلى سلمى بحر بلادها ، وأنت عليها ، بالملا ، كنت أقدر^(١)
 تحلّ بوادٍ ، من كراءٍ ، مضلّة ، تحاول سلمى أن أهابَ وأحصرا^(٢)
 وكيف تُرجيها ، وقد حيل دونها ، وقد جاورت حياً بتيمن مُنكرا^(٣)
 تبغاني الأعداء إمّا إلى دمٍ ، وإما عُراض الساعدين مصدرا^(٤)
 يظل الأباء ساقطاً فوق متنه ، له العدوّة الأولى ، إذا القرن أصحرا^(٥)
 كأن خوات الرعد رزء زئيره ، من اللآء يسكن العرينَ بعثرا^(٦)
 إذا نحنُ أبردنا وردت ركابنا ، وعنّ لنا ، من أمرنا ، ما تيسرا^(٧)

(*) قال ابن الإعرابي : كان عروة بن الورد قد سبى امرأة من بني هلال ابن عامر بن صعصعة ، يقال لها : ليلي بنت شعواء ، فمكثت عنده زمناً ، وهي معجبة له ، تريه أنها تحبه ؛ ثم استنزته أهلها ، فحملها حتى أتاهم بها ، فلما أراد الرجوع أبت أن ترجع معه ، وتوعده قومها بالقتل ، فانصرف عنهم ، وأقبل عليها وقال لها : يا ليل ! خبري صواحبك عني كيف أنا ؟ فقالت : ما أرى لك عقلاً ، أتراني قد اخترت عليك وتقول خبري عني !!

وهذا الكلام الذي قاله ابن الإعرابي يختلف تماماً مع ما سبق ذكره في القصيدة السالفة .
 (١) بحر بلادها : أي أكرمها ووسطها . الملا : هي الأرض الواسعة الملساء التي لا جبل فيها ولا شجر .

(٢) كراء يبيشة كثيرة الأسد . المضلة : التي تُضل فيها الطريق . أحصر : أضيق عن ذلك .

(٣) يقول عروة : جاورت حياً متنائياً فلا أقدر على إتيانها . منكر أي أنكرهم ولا أعرفهم . تيمن : أرض قبل جرش ، أو في شق اليمن .

(٤) يقول : تمنوا لي موضعاً مخوفاً يصيبني فيه الأعداء ، إما قوم قد أصبناهم بدم فهم يطلبونني ، وإما أسد يأكلني .

(٥) الأباء : القصب . يقول : هذا الأسد يسكن الغياض فالقصب يسقط على مثنه . له العدوّة الأولى ، يقول الأسد لا يلبث قرنه ، حتى يراه ، حتى يبادره العدوّة إذا أصحح القرن أي خرج إلى الصحراء .

(٦) كأن خوات الرعد : شبه زئير الأسد وهممته بدوي الرعد . الخوات : يقال خوات العقاب ، والرعد . العرين : الأجمة . عثر : أرض مأسدة .

(٧) ردت ركابنا : أي من الرعي . عنّ لنا : عرض لنا .

بدلك مني ، عندذاك ، صريمتي
وما أنسَ مِ الأشياءِ ، لا أنسَ قولها
لعلك ، يوماً ، أن تسري ندامةً
فغربت إن لم تخبريهم ، فلا أرى
فعبدك ، عمر الله ، هل تعلمين
صبوراً على رُزءِ الموالى ، وحافظاً
أقبُ ، ومخماص الشتاء ، مُرزأً ،
وصبري ، إذا ما الشيءُ ولى ، فأدبرا^(٨)
لجارتها : ما إن يعيش بأحورا^(٩)
علي ، بما جشمتني يوم غُصُورا^(١٠)
لي اليوم أدنى منك علماً وأخبرا^(١١)
كريماً ، إذا أسود الأناملُ ، أزهر^(١٢)
لعرض ، حتى يؤكل النبت أخضرا^(١٣)
إذا اغبرّ أولادُ الأذلة أسفرا^(١٤)

-
- (٨) صريمتي : أي مضائي وعزيمتي في الأمور .
(٩) بأحورا : هو في هذا الموضع العقل . يقال للرجل : ما إن يعيش بأحور ، أي ذهب عقله .
(١٠) تسرى : تظهرى . غصور : ماء لطىء . جشمتني : حملتني بمسألتك إياي فراقك .
(١١) فغربت : يدعو عليها يقول : بوعدت في البلاد حتى تصيري غريبة .
(١٢) قعيدك : قسم كأنه قال أذكرك . عمر الله : يريد بقاء الله . إذا أسود الأنامل ، يقول : إذا جاء الشتاء واشتد البرد غشى الناس النيران والصلاة فاسودت أناملهم ومعاصمهم من الوقد .
(١٣) رزء الموالى : أي منالهم مني . حافظاً لعرض ، يقول : أصون عرضي عن الذم وأعرضه للحمد ، إذا جاءت السنة وجهد الناس لم أزل أقرى وأضيف حتى تخرج السنة ويقبل الخصب ويورق الشجر فيعود العود أخضر بعد ييبسه .
(١٤) يقول : إذا كان الشتاء واشتدت السنة أثرت الأضياف بما عندي فطويت بطني لهم ولم تكن همتي الأكل فيعظم بطني . مرزأ : أي ينال مني ويصاب الخير ولا يخيب على أحد . الأذلة ، الواحد ذليل : اللثيم .

يابنت منذر! (*)

أقلي عليّ اللومَ يابنت مُنذرُ،
 ذريتي ونفسي، أم حسان، إنني
 أحاديث تبقى، والفتى غير خالدٍ،
 تجاوبُ أحجار الكناسِ، وتشتكي
 ذريتي أطوف في البلاد، لعلي
 فإن فاز سهمٌ للمنية لم أكن
 وإن فاز سهمي كفكم عن مقاعدٍ
 تقول: لك الويلاتُ، هل أنت تاركُ

ونامي، وإن لم تشتهي النوم، فاسهري
 بها، قبل أن لا أملك البيع، مشتري
 إذا هو أمسى هامةً فوق صُير^(١)
 إلي كلِّ معروفٍ رأته، ومُنكر^(٢)
 أخليك، أو أغنيك عن سوء محضري^(٣)
 جزوعاً، وهل عن ذاك، متأخر؟
 لكم خلف أديار البيوت، ومنظر^(٤)
 ضبواً برجلٍ، تارةً، وبمنسرٍ^(٥)

(*) قال عروة بن الورد هذه الأبيات لامرأته وهي تعاود إلحاحها في منعه من الغزو.

(١) هامة: يريد أن الفتى يموت فتخرج منه هامة تعلو كل نشز. صير: حجارة تجعل

كالخطيرة، زرباً للغنم. ونصب أحاديث بمشتر في البيت السابق من نفس الأبيات.

(٢) تجاوبُ: أي قبل أن أصير هامة تجاوب هذه الهامة أحجار الكناس. الكناس: موضع. يريد أنها إذا صوتت أجابتها أحجار الكناس بالصدى وتشتكي إلى كل معروف تراه. منكر: أي تصوت في كل حال إذا رأته من تعرف ومن تنكر.

حاشية:

[ذريتي ونفسي أم حسان أنني
 أحاديث تبقى والفتى غير خالد
 بها قبل أن لا أملك البيع مشتري
 إذا هو أمسى هامة فوق صير

يبدو أن لوم العاذلة هنا قد أحدث ألماً لنفسه، ويعكس قوله «ذريتي ونفسي» محاولة للخلاص بنفسه من موضع اللوم والألم.

(٣) سوء محضري: أي أغنيك على أن تحضري محضراً سيئاً يعني المسألة. أخليك: أي أقتل عنك فأفارقك، فتخلي للأزواج.

(٤) وإن فاز سهمي كفكم: أي إن سلمت وغنمت كفكم ذاك عن مقاعد عند أديار البيوت، وهي مكان قعود الضيوف.

(٥) ضبواً: الضبوء للصوص بالأرض. الرجل: الرجالة، يريد أنه يضبأ بالنهار ليخفى، ويسري بالليل. فتقول هل أنت تارك أن تغزو مرة يقوم على أرجلهم ومرة بمنسرٍ أي بالخيول.

ومستثبت في مالك، العام، أنني
فجوع لأهل الصالحين، مزلّة،
أبي الخفض من يغشاك من ذي قرابة،
ومستهنيء زيد أبوه، فلا أرى
لحي الله صعلوكاً، إذا جن ليلة،
يعد الغنى من نفسه، كل ليلة،
ينام عشاء ثم يصبح ناعساً،
قليل التماس الزاد إلا لنفسه،
يعين نساء الحي، ما يستعنه،
أراك على أفتاد صرماً، مذكر^(٦)
مخوف رداها أن تصيبك، فاحذر^(٧)
ومن كل سوداء المعاصم تعتري^(٨)
له مدفعاً، فاقني حياءك وأصبري^(٩)
مصافي المشاش، ألفاً كل مجزر^(١٠)
أصاب قراها من صديق ميسر^(١١)
يحث الحصى عن جنبه المتغفر^(١٢)
إذا هو أسمى كالعريش المجور^(١٣)
ويمسي طليحاً، كالبعير المحسر^(١٤)

(٦) أراد بالمستثبت هنا: القاعد عن الغارات. المعنى: أي أراك على شفا هلكة. الإفتاد، الواحد قند: خشب الرحل. الصرماً: الناقة التي صرمت أطباؤها أي قطعت لينقطع لبنها فتشد قوتها ويشد لحمها. المذكر. التي تلد الذكور وهو أفظع ما يكون من نتاج العرب وأبغضه إليهم.

(٧) فجوع: أي صرماً، داهية تفجع بالصالحين أي ذوي المعروف. مزلّة: أي تزل بأهلها. مخوف رداها: أي يخاف الهلاك من قبلها.

(٨) أبي الخفض: أي أبي هذا الذي تريد من خفض العيش والدعة من يغشاك، من يطرقك، من ذي قرابة. سوداء المعاصم: أي من شدة الجوع والبرد والإصطلاء على النار.

(٩) المستهنيء: المستعطي. زيد أبوه: يعني رجلاً من قومه يجمعه وإياه زيد وهو جد عروة.

(١٠) مصافي المشاش: مختار، مؤثر للأكل. والمشاش: رأس العظم اللين. المجزر:

الموضع الذي يجزر فيه الإبل، فهو الدهر في موضع مأكل. وأراد عروة بهذا الصعلوك، الصعلوك اللثيم الذي يعيش خاملاً.

(١١) يقول: إذا ملأ بطنه عده غنى ولم يبال ما وراءه من عياله وقرباته.

(١٢) يحث الحصى: أي لا يبرح الحي. وحث الشيء: قشره وأسقطه.

(١٣) يقول: إذا شبع فملاً بطنه ألقى نفسه كأنه عريش مجور أي ساقط.

العريش: شبه الخيمة.

(١٤) يمسي طليحاً: قد أعيا وحسر من العمل كأنه بعير محسر، أي حسير ضعيف.

ولكن صعلوكاً، صفيحة وجهه
مُطلاً على أعدائه يزجرونه
إذا بُعدوا لا يأمنون اقترابه،
فذلك إن يلق المنية يلقها
أيهلك معتمٌ وزيدٌ، ولم أقم
ستفزع، بعد اليأس، من لا يخافنا،
يطاعن عنها أول القوم بالقنا،
فيوماً على نجدٍ وغاراتِ أهلها،
يناقلن بالشُّمط الكرام، أولى القوى،
كضوء شهاب القابس المتنور^(١٥)
بساحتهم، زجرَ المنيح المشهر^(١٦)
تشوف أهل الغائب المتنظر
حميداً، وإن يستغن يوماً، فأجدر
على ندب يوماً، ولي نفس مخطر^(١٧)
كواسع في أخرى السوام المنفر^(١٨)
وبيض خفافٍ، ذات لَوْنٍ مشهر
ويوماً بأرضٍ ذات شتٍّ وعرعر^(١٩)
نقاب الحجاز في السريح المسير^(٢٠)

(١٥) ولكن صعلوكاً: يريد ولكن صعلوكاً هكذا وجهه لا لحاه الله. وأراد به الصعلوك
الفاضل الذي يعيش من غزواته وما يكسبه.

(١٦) مطلاً: أي مشرفاً. على أعدائه: أي بغزوهم أبداً وهو مظل عليهم يعني عالياً عليهم.
يزجرونه: أي يصيحون به كما يزجر القدح إذا ضرب به. المنيح هنا: قدح مستعار، سريع
الخروج والفوز يستعار فيضرب ثم يرد إلى صاحبه، والعارية تسمى المنحة.
حاشية:

يبدو أن المتمردين من الصعاليك لم يكونوا جميعاً من المتمردين فبعضهم قد ارتضى حياة
الخمول والذلة في الوقت الذي رفض بعضهم واقعه وتمرد عليه، وقد قدم عروة نموذجاً
فنياً جسد من خلاله صورة الصعلوك المنبوذ الخامل، وصورة الصعلوك الرافض المتمرد.
(١٧) الندب، الواحدة ندبة: البكاء على الميت. المخطر: الداخل في الخطر، الذي يخاطر
بنفسه.

(١٨) يقول عروة: سيفزع من أمننا فظن أن لا نغزو. كواسع: خيل تطرد إبلاً تسكعها في أثرها.
(١٩) يقول: فيوماً أغير على أهل نجد ويوماً أغير على أهل الجبل. شت وعرعر: نوعان
من الشجر.

(٢٠) يناقلن: المناقلة اتقاء النقل، والنقل حجارة صغار تكون في هذه النقاب. النقاب: الطرق
في الجبال والإشراف: السريح، واحدها سريحة: وهي كل قدة قدت سيراً يشدبها
النعال. المسير: الذي جعل سيراً.

يريح عليّ الليلُ أضيافَ ماجدٍ كريم، ومالي، سارحاً، مال مقتر (٢١)

(٢١) يريح: يقول إذا راحت إبلي جاء بها الأضياف والأيتام والكلول فتعشوا ثم تغدو إلى الرعي فلا تتبع فترى قلتها.

حاشية:

عروة يطلق صرخته في وجه العصر متمثلة في تلك الصرخة، التي واجه بها زوجته في رائيته المطولة. والأبيات تعكس بأساً شديداً يتجسد في عبارات تقترب من لغة الحديث اليومي لكنها تدخل في إطار تشكيل جيد، ولا شك أن طلبه منها أن تدعه إنما يمثل ضيقاً بحياته أما قوله (أخيلك وأغنيك) فإنه يجسد إحساسه بوطأة حياته (راجع البيت الرابع) على الغير وتبرمه منها، وعدم خوفه من الموت نتيجة طبيعية ليأسه من الحياة فالتعساء لا يهابون الموت.

وفي الرجل آية!!

- عفت بعدنا من أمّ حسان غصور،
وبالغُرّ والغراء منها منازل،
ليالينا، إذ جيّها لك ناصح؛
ألم تعلمي، يا أمّ حسان، أننا
وأن المنيا ثغر كل ثنية،
وغبراء مخشّي رداها، مخوفة،
قطعتُ بها شك الحلاج، ولم أقل
تدارك، عوداً، بعد ما ساء ظنها،
هم عيروني أن أمّي غريبة؛
وقد عيروني المال، حين جمعتُه؛
- وفي الرّحل منها آية لا تغيّر^(١)
وحول الصّفا، من أهلها، متدور^(٢)
وإذريحها مسك زكيّ، وعنبر^(٣)
خليطاً زيالٍ، ليس عن ذاك مقصر^(٤)
فهل ذاك عما يبتغي القوم محصر؟^(٥)
أخوها، بأسباب المنيا، مغرر^(٦)
لخيابة، هيابة: كيف تأمر؟^(٧)
بما وان، عرق، من أسامة، أزهر^(٨)
وهل في كريمٍ ماجدٍ ما يُعير؟
وقد عيروني الفقير، إذ أنا مقتر^(٩)

-
- (١) غصور: ثنية فيما بين المدينة إلى بلاد خزاعة وكنانة.
(٢) متدور: متفعل أي مكان دوار، والدوار نسك كانوا يطوفون به في الجاهلية.
(٣) إذ جيّها الخ...: أراد صدرها وفؤادها.
(٤) خليطاً زيال: خليطاً مفارقة، أي يفارق بعضنا بعضاً. المقصر: المعزل.
(٥) ثغر كل ثنية: الثغر موضع المخافة. يقول: إن نكن المنيا في ثغر كل ثنية ما يمنعني مما يبتغي الناس محصر، أي حابس.
(٦) غبراء: مظلمة ليست بمسفرة الطرق. أخوها: يعني عروة نفسه ويكون أخوها من يسلكها من الناس.
(٧) شك الخلاج: ما خالجنى وشككني. الخيابة: الكثير الخيبة. الهيابة: الفروق الكثير الخوف.
(٨) عود وأسامة: هما قبيلتان من عيس. يقول: تدارك قومي وهم عود، عرق من أسامة من أمه، وأمّه نهديّة. أزهر: نقي شريف.
(٩) المقتر: الفقير حسب المعنى في البيت.

وعيرني قومي شبابي ولمتي ، متى ما يشاء في غنمٍ آخر جعفر
ولا أنتمي إلا لجارٍ مجاورٍ ، فما آخر العيش الذي أنتظر؟! (١٠)

(١٠) كأنه عاب على نفسه الاستجارة في الأحياء لطلب الكلاء. يقول: فهل آخر العيش الذي أنتظر إلا الموت؟
حاشية:

في هذه الأبيات وبالذات الأخيرة منها يتضح أن عروة عاش في قبيلته حياة كلها هموم ومعاناة وكلها جفاء وازدراء. إن رفضه كان بسبب رفض هؤلاء الناس له، فلقد عيروه بأمه الغريبة، كما عيروه به لأنه جاء نهباً وسلباً.

إن الموت هو الحقيقة التي لا يرقى إليها الشك، وأن ما يترتب على الموت من فرقة وهي كالموت حقيقة واقعة، والفرقة وما يدور في فلكها من بين وظعن وارتحال وصرم وقطع ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالاعتراب حيث يتعد الإنسان عن أحبهم وتعود عليهم أو ابتعدوا هم عنه، فاعتراب الموتى اغتراب للأحياء، وهو بصفة محددة اغتراب لمن أحبهم من الأحياء.

يقول عنتره:

لا شك للمرء أن الدهر ذو خلف فيه تفرق ذو إلف ومألوف
[ديوان عنتره، ص ٢٧١]

ويقول النابغة:

فإن تك قد نأت ونأيت عنها وأصبح واهياً حبل متبين
فكل قرينة ومقر إلف مفارقة إلى الشحط القرين
[ديوان النابغة، ص ٢١٨]

ويقول عبيد بن الأبرص:

وكل مجتمع لا بد مفترق وكل ذي عمر يوماً سينخبط
[ديوان ابن الأبرص، ص ٢٣]

ويقول عروة بن الورد:

ألم تعلمي يا أم حسان أننا خليطاً زيالٍ ليس عن ذاك مقصر
[راجع قافية الراء]

يقول عروة:

[وغيراء مخشى رداها مخوفة أخوها بأسباب المنابيا مغرر
قطعت بها شك الخلاج، ولم أقل لخيابة، هيابة: كيف تأمر؟]

الإنسان هو الذي يضيق بالمكان ويرفضه ولهذا فإن موقف الإنسان في مواجهة الزمان والمكان ورفضه للقهر الوجودي الذي يتصل بهما يكمن وراء أي نوع من التمرد الاجتماعي ويتراكم معه.

وانتصار الشاعر على المكان يمثل بطولة اجتماعية وبطولة إنسانية.

فعبوره لهذا المكان المخيف الموحش المهلك يمثل انتصاراً على هذا المكان وتمرداً عليه، كما يمثل انتصاراً على نفسه وتمرداً عليها أيضاً، وكأن هذا الخوف المكاني يمثل معادلاً موضوعياً للخوف النفسي، ولهذا فإن التمرد على المكان ومحاولة قهره يمثل تمرداً على الذات كما يمثل محاولة لتحقيق هذه الذات في إطار بطولي، ولو كان هذا فيه خطر عليه [راجع قافية الراء].

وصبحنا عامراً..(*)

ونحن صبحنا عامراً، إذ تمرست
بكل رقاق الشفرتين، مُهنِدٍ،
عجبتُ لهم، إذ يخنقون نفوسهم،
يشدُّ الحليمُ منهم عقد حبله؛
عُلالة أرماحٍ وضرباً مذكراً^(١)
ولدن من الخطى، قد طُرَّ، أسمر^(٢)
ومقتلهم، تحت الوغى، كان أعذراً^(٣)
ألا إنما يأتي الذي كان حُذراً^(٤)

(*) قيل في مناسبة هذه المقطوعة: غزت بنو عامر يوم شعر، وهم يريدون أن يصيبوا شيئاً، ويدركوا بثأرهم في شعر، وكان أول من لقوا يومئذ، بني عيس، فأنكشفوا وأصيب ناس منهم من بني جعفر خاصة، فزعموا أن ابن الطفيل، وكان غلاماً شاباً، أدركه العطش، فعشي أن يوخذ، فخنق نفسه حتى مات، فسُمي ذلك اليوم يوم التخناق.

(١) صبحنا: جئنا لهم مع الصباح. تمرست: تعرضت وعالجت ذلك. علالة كل شيء: ما جاء منه بعد طعن.

(٢) بكل رقاق: يريد صبحناهم بكل سيف رقيق الشفرتين. شفرتاه: حداه. ولدن: يريد اللين المهمزة من الرماح، قد طر: قد سن، والسن التحديد. مهند: منسوب إلى بلاد الهند. الأسمر: هو الرمح الذي تؤخذ قناته وقد أدركت في غايتها ونضجت ويبست فإذا قومت خرجت سمراء اللون، الخطى: القنا كله يؤتى به من الخط وهو مرفأ في البحرين.

(٣) عجبتُ لهم إذ يخنقون نفوسهم: يعلق على موقف ابن الطفيل الشاب الصغير الذي شنق نفسه، فيقول: إن القتل كان أعذر لهم من خنقهم لأنفسهم، الوغى: الحرب أو الصون والجلبة في الحرب حيث الكرو والفر والصراخ.

(٤) يقول في هذا البيت: الحليم منهم يشد عقد الحبل الذي يريد أن يخنق به، وإنما يأتي الذي كان حذر منه، وهو الموت، فقد قتل نفسه شنقاً.

وَأَخَذَتْ مَعَاقِلَهُمَا! (*)

أَخَذَتْ مَعَاقِلَهُمَا اللَّقَاحُ لِمَجْلِسٍ حَوْلَ ابْنِ أَكْثَمَ، مِنْ بَنِي أَنْمَارٍ^(١)
وَلَقَدْ أَتَيْتُكُمْ بِلَيْلٍ دَامِسٍ؛ وَلَقَدْ أَتَيْتُ سُرَاتِكُمْ بِنَهَارٍ^(٢)
فَوَجَدْتُكُمْ لُقْحاً حَسِناً بِخَلَةٍ، وَحَبَسَنَ، إِذْ صُرِينُ، غَيْرَ غَزَارٍ^(٣)
مَنْعُوا الْبَكَارَةَ وَالْأَفَالَ كِلَيْهِمَا، وَلَهُمْ أَضْنُ بِأَمِّ كُلِّ حِوَارٍ^(٤)

(*) هذه المقطوعة قالها عروة بن الورد أمير الصعاليك مخاطباً سلمة بن الحرشب الأنماري .
(١) المعاقِل على وزن مفاعل، مفردها معقل، وهي على وزن مفعِل اسم مكان، والمعقل هو الملقأ .

واللقاح: هي النياق الغزيرة اللبن .
ابن أكثم: رجل من بني أنمار .
(٢) يقول عروة: طلبت معروفكم ليلاً ونهاراً، يريد الشهر، والدهر والليل والنهار، فلم أحصل منكم على أي خبر يذكر .

(٣) اللقح: مفردها لقحة وهو الناقة الغزيرة اللبن كما ذكرت في البيت الأول .
والخلة: نبات تكون الإبل التي تأكله قليلة اللبن .

صرين: من صري الناقة أي لم يحلبها حتى يمتلئ ضرعها لبناً .

(٤) البكارة: مفردها بكر، وهو الفتى من الإبل .
الأفال: الواحد منها (أفيل) على وزن أفعل وهو صغير الإبل . أضن: أبخل .
الحوار: الفصيل، ولد الناقة .

ورحلتنا من الأجل (*)

أبلغُ لديكَ عامِراً إن لقيتها، فقد بلغت دار الحِفاظِ قرارها^(١)
 رَحلتنا من الأجلِ، أجمال طيء، نسوقُ النساءَ عُوذَها وعشارها^(٢)
 ترى كل بيضاء العوارضِ طفلة، تغرى، إذا شال السماءُ، صدارها^(٣)
 وقد علمت أن لا انقلابَ لرحلها، إذا تركتُ، من آخر الليلِ، دارها^(٤)

(*) قيل إن مناسبة هذه المقطوعة غزو بني عبس لقبيلة طيء، بعدما رُمي عنترة بن شداد العسي، فسبوا نساء خارجات من الجبل، فتبعهم طيء، فقالتهم عبس حتى ردوهم إلى جبلهم، وجاؤوا بالنساء إلى بني عبس.

وكان عامر بن الطفيل حين بلغه قتل عنترة بن شداد قال: لا ترك الله لطيء أنفاً إلا جدعه، أما علينا فليوث، وأما على جيرانهم فلا شيء؛ وقد قتلوا فارس العرب.

وكانت عبس إنما تنظر من طيء مثل تلك العزة حين نزلوا من الجبل وأصابت عبس حاجتها. فقال عروة هذه المقطوعة. وهنا يثار سؤال: هل بالفعل قتلت قبيلة طيء عنترة بن شداد شاعر الحب والحرية في صراعها مع عبس؟! هذا في رأينا غير مؤكد وذلك لأن هناك روايات كثيرة عن نهاية عنترة بل حياته نفسها مما يجعله يبدو أحياناً كبطل أسطوري مائة في المائة، وقد تناول الكثير من الباحثين هذا الموضوع ولا أجد مجالاً هنا للخوض فيه بالدرس والتحليل.

(١) دار الحفاظ: من المحافظة على الحسب والحزم. قرارها: مستقرها.

(٢) عوذها وعشارها: هذان مثلان وهما في الإبل، والواحد عائذ: وهي الحديثة النتاج. العشار: التي قد قربت على أن تضع. أراد أن من النساء منهنَّ حوامل، ومنهن مرضع لأطفالهن.

(٣) العوارض جمع تكسير على وزن فواعل - وهي من الإنسان الضواحك. الطفلة: الناعمة الرخصة الرطبة.

تغرى: تشق صدارها إذا شال السماء أي إذا ارتفع النجم، الصدار: شيء تلبسه المرأة على صدرها وقد يكون مشد الصدر.

(٤) إذا تركت، من آخر الليل، دارها: كأنها سبيت بالليل في آخره ليس لها رجوع، وقد فزعت من أن ترجع، وذلك أن الغارة إنما تكون في وجه الصبح أي مع الخيط الأول لضوء الشمس، ليأخذوا زمام المبادرة.

إذا المرء لم يطلب معاشاً!

إذا المرء لم يطلب معاشاً لنفسه،
وصارَ على الأذنين كلاً، وأوشكتُ
وما طالبُ الحاجات، من كل وجهةٍ،
فسر في بلاد الله، والتمس الغنى،
شكا الفقر، أو لام الصديق، فأكثر
صِلاتُ ذوي القربى له أن تنكراً^(١)
من الناس، إلّا من أجداً وشمراً
تَعش ذا يسارٍ، أو تموت فتعذرا

(١) الكل: هو الثقل الذي لا خير فيه، وهذه المقطوعة تحمل في طياتها فلسفة عروة في الحياة، وضرورة السير في بلاد الله، خلق الله، من أجل الثراء والغنى، بدلاً من شكوى الفقر، أو الطلب من الذين لا يثمر فيهم المعروف أو الخير.
حاشية:

● إنه يعرف ما في خروجه من مخاطر، وهو أخوف على نفسه من غيره، ولكن الدافع لخروجه إنما هو رغبة في أن يقي نفسه وأولاده ذل الحاجة، وأن يدفع عنهم غائلة الفقر والجوع من أجل مقام طيب ينتظره.
والثبرة في هذه الأبيات هادئة وتوحي بأنه قد قالها في فترة قد استقرت فيها نفسه، حتى أنه وجد أن لوم الصديق لا يكون إلا بسبب قعود المرء عن السعي من أجل معاشه.

سلي الطارق

سلي الطارق المعتر يا أم مالك، إذا ما أتاني بين قدري ومجزري^(١)
أيسفر وجهي، إنه أول القري، وأبذل معروفني له دون منكري^(٢)

(١) يوجه كلامه إلى أم مالك، وقد تكون زوجته، أو أي امرأة أخرى تلومه على جوده وكثرة عطائه - والطارق اسم فاعل من طرق، والطارق الذي يطرق على الباب ليلاً، وكل من يأتي ليلاً فهو طارق.

والمعتر: الذي يأتي للمعروف من غير أن يسأل.

مجزري: مكان الجزر أو المسلخ الذي تسلخ فيه الإبل أو الماشية بعد سخرها.

(٢) يسفر أي يشرق، والمنكر هو القبح أو العمل الرديء ومضاده المعروف.

دعيتني للغنى..(*)

دعيتني للغنى أسعى، فإنني
وأبعدهم وأهونهم عليهم،
ويقصيه الندى، وتزدريه
ويُلقي ذو الغنى، وله جلال،
قليل ذنبه، والذنب جم،
رأيت الناس شرُّهم الفقيرُ
وإن أمسى له حسبٌ وخيرُ^(١)
حليته، وينهره الصغيرُ^(٢)
يكاد فؤاد صاحبه يطير^(٣)
ولكن للغنى ربُّ غفورُ

(*) مطلوب من المرء أن يسعى ما وسعه الجهد من أجل الرزق الحلال الطيب، مطلوب منه أن يعمل بجدية من أجل أن يحسن وضعه الاجتماعي والمادي، بل مطلوب منه أنه إذا لم يجد رزقه في أرضه، في وطنه، عليه أن يحاول في وطن آخر، في أرض أخرى، فالأرض متسع للجميع من أجل الرزق.

ولكن على المرء أن لا ينسى أرضه الأولى، موطنه الأم، مسقط رأسه، عليه ألا يهملها، بل يشاركها في آمالها، في أفراحها وأتراحها.

وفي العصر الجاهلي - بل وفي جاهليتنا المعاصرة - يعتبر الناس أن الغنى المادي هو المقياس الحقيقي لقيمة الإنسان، لذلك يطلب عروة من محبوبته أو زوجته أن تتركه لحال سبيله، تتركه ينطلق إلى بلاد الله، خلق الله، كي يحصل على المال والثروة، فالناس تنظر إلى الفقير على أنه شر الناس، وأضعفهم وأهونهم عليهم، فلا خير فيه ويقابل بكل ازدراء واحتقار من زوجته، ومن الصغار، أما الغني مهما كان وزنه ينعم بالإحترام والتقدير، يقبل المجتمع كل خطاياهم ويغفرها له، وإذا كان للفقير ذنب هين فهو كبير في نظر مجتمعه، ولكن للفتى دائماً ربُّ غفور!! - ويجدر بالذكر في هذا المقام أن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب قال لمعلم ولده أن لا يرويهما إياها لأنها تدعوهم إلى الاغتراب عن أوطانهم...!!

(١) الخير هنا بمعنى الشرف.

(٢) تزدريه: تحتقره، حليته: زوجته، ينهره: يعامله معاملة سيئة.

(٣) جلال: إكرام وإكبار وتعظيم.

ولكننا نقول إن العلم غنى، والشرف غنى، وحسن الأخلاق غنى نحن في حاجة إلى كل ذلك لنرفع عماد الوطن.

أحب وأنهق

وقالوا أحب وأنهق ولا تضيرك خير
لعمري لئن عشتُ من خشية الردى
فلا وألت تلك النفوسُ، ولا أتتُ
فكيف وقد ذكيتُ واشتد جانبي
لسانٌ، وسيفٌ صارمٌ، وحفيظةٌ،
تخوفني ريبب المنون، وقد مضى

وذلك من دين اليهود ولوع^(١)
نُهَاق الحمير، إنني لجزوع^(٢)
على روضة الأجداد، وهي جميع^(٣)
سُلُي، وعندى سامعٌ ومطيع^(٤)
ورأيي لأراء الرجال صرُوع^(٥)
لنا سلفٌ: قيسٌ، معاً، وربيع^(٦)

(١) أحب: أي أحبو أو أزحف عن يديك وبطنك.

وقوله أنهق: أي أنهم كما يقولون من دخل خير ونهق عشر مرات لم تضره الحمى. وهذه خزعيلات لا أساس لها من الصحة لأنها تخالف العلم والمنطق السليم.

الولوع فعلها ولع، وولع به: أغرى به دين اليهود.

(٢) الردى: الموت والهلاك.

جزوع: خائف أو مرعوب.

(٣) فلا وألت: لانجت.

روضة الأجداد: بلد لبني مرة وأشجع وفزارة.

(٤) ذكيت: من ذكى الفرس إذا قرح وليس قروحه بإلقاء نابيه ولكن قروحه وقوع السن التي تلي الرباعية.

(٥) عندي سامع ومطيع: أي لسان وسيف بتار وحفيظة الصروع على وزن فعول، من صرعه أي طرحه أرضاً.

(٦) يتباهى بشجاعته وشجاعة قومه، وقيس هو قيس بن زهير، وربيع هو الربيع بن زياد - وكلاهما من قبيلة عبس، قبيلة شاعرنا الصعلوك عروة بن الورد.

يا ابن الورد

أتجعلُ إقدامي إذا الخيلُ أحجمت
سواءً ومن لا يقدمُ المهرَ في الوغى،
إذا قيل يا ابن الورد أقدم إلى الوغى!
بكفي من المأثور، كالمِلح لوْنه،
فاتركه بالقاعِ، رهنأً ببلدِ،
محالف قاعٍ، كان عنه بمعزلٍ،
فلا أنا مما جرت الحربُ مشتك،
ولا بصري، عند الهياجِ، بطامِج،
وكرى، إذا لم يمنع الدبر مانع^(١)
ومن دُبْرهُ، عند الهزاهز، ضائع^(٢)
أجبت، فلاقاني كمي مُقارِع
حديث بإخلاص الذكورة، قاطع^(٣)
تعاوره فيها الضباع الخوامع^(٤)
ولكن حينَ المرء لا بد واقع
ولا أنا مما أحدث الدهرُ جازع
كأني بغيرُ فارق الشول، نازع^(٥)

(١) الدبر هنا هو المال الكثير.

(٢) تجعل في البيت الأول فعل متعدي ينصب مفعولين، وسواء هي المفعول الثاني.

الهزاهز: الشدائد والمصاعب، والوغى: الحرب الضروس.

(٣) المأثور على وزن مفعول، أراد به السيف القديم الذي ورثه عن أهله وأجداده. وشبهه في بياضه بالملح وهو تشبيه نابع من البيئة.

وهو يفتخر بشجاعته وإقدامه فإذا قيل له يا ابن الورد اسرع إلى ساحة الوغى، أقدم بسرعة، وأجاب، فهو الكمي المقارع أي الفارس المستعد بعدته وعتاده للمصاولة والمجاوله، بكفه سيفه الذي ورثه.

وإخلاص الذكورة: أي أن هذا السيف البتار الأبيض اللون سيف ذكر أي شفرته من الحديد.

(٤) اتركه: الضمير هنا يعود على الكمي أي الفارس.

والخوامع: على وزن فواعل، مفردها (جمع) بمعنى مشى كأن به عرجاً.
القاع: الأرض السهلة المطمئنة.

(٥) الشول: الإبل. نازع: مشتاق.

حاشية:

عروة فارس مقدم يرى أنه لا يجب أن يستوي، وغيره ممن لا يهرعون إلى القتال.

أقصر من الغزو

تقول: ألا أقصر من الغزو، واشتكى،
سأغنيك عن رَجْع الملام بمُزْمِعٍ
لبوس ثياب الموت، حتى إلى الذي
إذا أرهنته المين شدة ماجدٍ،
ويدعوني كهلاً، وقد عشت حقبةً،
كأني حصانُ مالٍ عنه جلاله،
فما شاب رأسي من سنين، تابعتُ،

لها القولُ، طرفُ أحور العين دامعُ
من الأمير، لا يعشو عليه المطاوع^(١)
يوائمُ إما سائمٌ، أو مصارع^(٢)
فورّعها القومُ الألى، ثم ماصعوا^(٣)
وهنّ، عن الأزواجِ نحوي، نوازع^(٤)
أغرُّ، كريمٌ، حوله العوذ، راتع^(٥)
طوالٍ، ولكن شيبته الوقائع^(٦)

(١) يخاطب زوجته، والمزمع على وزن مفعّل، من أزمع الأمر أي قرره وأثبت عليه وأصرّ، وأظهر فيه حزماً.

يعشو عليه: يقصده.

المطاوع: الموافق على الشيء.

(٢) يوائم: يوافق، سائم اسم فاعل والسائم الذاهب على وجهه حيث شاء وفعلها سأم.

(٣) المين: الكذب والمراوغة.

ورّعها: ردّها.

ماصعوا: أي قاتلوا وجالدوا.

(٤) كهلاً: شيخاً كبيراً.

نوازع: مشاغل أو موانع.

(٥) العوذ: الحديثة التاج (الوضع) من الظباء والإبل والخيّل، ومفردها: عائد على وزن فاعل.

(٦) سنين تتابعت: أي أن رأسي لم تشب بفعل السنين كما هو معتاد، ولكن شيبت رأسي الأحداث الجسم التي مرتت بها.

فراش الضعيف

فراشي فراشُ الضعيف والبيت بيته ولم يلهني عنه غزالٌ مقنَعُ^(١)
أحدثه، إنَّ الحديثَ من القرى، وتعلمُ نفسي أنه سوف يهجع^(٢)

-
- (١) أي أن عليه دوراً تجاه الضعفاء والمساكين والمحتاجين، لدرجة أنه من الممكن أن يترك له فراشه إذا لم يجد الضعيف فراشاً يأوي إليه.
- وهذا الدور الذي يؤدي لا يمنعه عنه أي مانع أو أي شاغل فلا ينشغل بامرأة حسناء مثلاً.
- والغزال المقنع: المرأة اللابسة القناع، أو ما تغطي به شعرها.
- (٢) القرى أي الكرم وتقديم واجب الضيافة على الوجه الأكمل للضيف. والحديث الذي يطمئن ويريح نوع من هذا الكرم.
- يهجع: ينام ويستريح بعد أن آمنه وأطعمه من الجوع والخوف، ونلاحظ هنا ضرورة أن يبدأ العربي ضيفه بالكرم المعنوي الذي هو أهم بعده يأتي الكرم المادي.

سيد يعرفونه

لـكـل أناس سيّد يعرفونه، وسيدّنا، حتّى الممات، ربيع^(١)
إذا أمرتني بالعقوقِ حليّتي، فلم أعصّها، إني إذا لمضيع^(٢)

(١) لكل قوم سيد يعرفونه ويتبعونه، والسيد هنا هو الربيع بن زياد العبسي أحد سادات قبيلة بني عيس.

(٢) الحليلة: هي الزوجة. العقوق: التمرد وعدم الطاعة. مضيع: ضائع، هالك.

أمي تريعة

أعيرتموني أن أمي تريعة؛ وهل ينجبن في القوم غير الترائع؟^(١)
وما طالب الأوتار إلا ابن حرة، طويل نجاد السيف، عارى الأشاجع^(٢)

(١) التريعة: هي المسرعة إلى الشر.
وجمعها ترائع على وزن فعائل.
وينجبن: يلدن.

(٢) طويل نجاد السيف: كناية عن الشجاعة والإقدام والأشاجع هم الأقوياء الأبطال.

أرى أمراً فظيعاً

وَجِلَّ، كُنْتُ عَيْنَ الرُّشْدِ مِنْهُ، إِذَا نَظَرْتُ، وَمَسْتَمِعاً سَمِيعاً^(١)
أَطَافٌ بَغِيَّةٍ، فَعَدَلْتُ عَنْهُ، وَقُلْتُ لَهُ: أَرَى أَمْرًا فَظِيعًا.

(١) الخل: الرفيق أو الصديق.

الرشد: الصواب والأمور الصائبة.

سميعاً: اسمع له، وهي صيغة مبالغة على وزن فعيل.

(٢) بغية: طلباً أو هدفاً.

عدلت عنه: تركته وذهبت.

أمراً فظيعاً: أمراً شديداً، وفطيع على وزن فعيل صيغة مبالغة.

أم حسان (*)

أرى أم حسان، الغداة، تلومني،
تقول سليمي: لو أقمّت لسرّنا!
لعل الذي خوفتنا من أماننا،
إذا قلت: قد جاء الغنى، حال دونه
له خلّة، لا يدخل الحقّ دونه؛
فإنّي لمستاف البلاد بسُربة،
تخوفني الأعداء، والنفس أخوفُ،
ولم تدّر أني للمُقام أطوّفُ
يصادفُه، في أهله، المتخلفُ
أبو صبيّة، يشكو المفارقة، أعجفُ^(١)
كريمٌ أصابته خطوبٌ تجرّفُ^(٢)
فمبلغٌ نفسي عُذرَها، أو مطوّفُ^(٣)

(*) يقال إن مناسبة هذه الأبيات: إن الناس أجذبوا في بني عبس، فكانت نتيجة ذلك أصابتهم إلى حد الهلاك وفقدان الممتلكات والحرث، فأصابهم الجوع الشديد والبؤس، فأتوا عروة بن الورد، فجلسوا أمام داره، فلما بصروا به صرخوا وقالوا: يا أبا الصعاليك أغثنا! فرق قلبه لهم على الفور، وأعد عدة الغزو، وخرج ليحصل لهم على ما ينقذهم ويقوتهم، فنهته زوجته (أم حسان) لأنها خائفة عليه من الهلاك، ولكن عروة نهىها وعصاها لأنها بذلك تمنعه عن واجبه المقدس، فمر بمالك بن حمار الفزاري، فسأله أين يريد، فأخبره، فأمر له بجزور فحرها، فأكلوا منها، وأشار عليه مالك أن يرجع إلى داره، فعصاه عروة ومضى إلى طريقه حتى انتهى إلى بلاد بني القين، فأغار عليهم، فأصاب إبلاً عاد بها على نفسه وأصحابه وعلى هؤلاء الذين طلبوا العون منه. فقال هذه الأبيات.

(١) المفاقر: المغازات وهي جمع فقر على وزن مفاعل.
(٢) له خلّة: أي له حاجة - يقول: عنده من الفقر، وسوء الحال ما لا يقدر أن يدخل عليه في الصلة عندنا من كان له حق، أي حتى أحمل على نفسي ولا أنقص هذا من حقه لخلته وفقره. تجرّف: أي تهزّله وتجرّف ماله. الخطوب: مفردها خطب وهي الأمور الصعبة.
(٣) إنّي لمستاف: أي سالك بعدها. يقول إنّي أخذ مسافة هذه الأرض أي بعدها، والمسافة ما بين الأرضين.

السرية: جماعة الخيل ما بين العشرين إلى الثلاثين.

رأيت بني لبني عليهم غضاضةً، بيوتهم، وسط الحلول، التكف^(٤)
أرى أم سرياحٍ غدت في ظعائنٍ، تأمل، من شام العراق، تطوف^(٥)

(٤) يقول: إن بني لبني ليسوا بأهل غنى ولا يسر فإذا جاوروا قوماً نزلوا ناحية كما ينزل الفقير في كنف من شجر، لأنه ليست لهم بيوت يأوون إليها. عليهم غضاضة: أي يغضون أبصارهم من الحياء من الناس. الحلول: القوم النازلون.
(٥) غدت أي غدت تطوف من شام العراق، يريد من الشام إلى العراق.
حاشية:

في البيت الأول من هذه القصيدة الغائية تجد عروة يعبر عن عالمه الشعري، حيث تجده يواجه الأخطار، رأياً لصدعه النفسي، ودرءاً لخطر الموت جوعاً، وخلاصاً من ذل الحاجة، وتحقيقاً لذاته وسط القهر الاجتماعي والقسر النفسي.
ونقول هنا إن عروة يعبر عن رغبته الصادقة في حياة مستقرة ومقام طيب.

رهينة(*)

ليس ورائي أن أدبّ على العصا، فيشمت أعدائي، ويسأمني أهلي^(١)
 رهينة قعر البيت، كل عشية يُطيف بي الولدانُ أهدج كالرأل^(٢)
 أقيموا بني لبني صدور ركابكم، فكل منايا النفس خيرٌ من الهزل^(٣)
 فإنكم لن تبلغوا كل همتي، ولا أربي، حتى تتروا منبت الأثل^(٤)

(*) لما أتى عروة أرض بني التيم، وكانوا بأرض التيه، هبط أرضاً ذات لحاقيق، أي ذات شقوق في الأرض كالأوجرة، والواحد لحقوق، فيها ماء، فرأى عليه أثراً فقال: هذه آثار من يزد هذا الماء، فأكمنوا، فأحر أن يكون قد جاءكم رزق.

وفي أرض بني القين عرى [العرى الواحدة عروة أي الشجر المتلف] من الشجر العظام، إذا أجذب الناس رعوها فعاشوا فيها. فأقام أصحاب عروة يوماً، ثم ورد عليهم فصيل، فقالوا: دعنا فلنأخذ، فنأكل منه يوماً أو يومين. فقال: إنكم إذا تنفرون أهله وإن بعده إبلاً. فتركوه ثم ندموا على تركه وجعلوا يلومون عروة من الجوع الذي جهدهم.

ثم وردت إبل بعده بخمس فيها ظعينة [المرأة في اليهودج]، ورجل معه السيف والرمح، والإبل مائة متال [التي لها اتلاء، أي أولاد مقطومة، تتبعها، الواحد تلو]، فخرج إليه عروة فرماه في ظهره بسهم أخرجه من صدره، فخر ميتاً، واستاق عروة الإبل والظعينة حتى أتى قومه، فقال هذا الأبيات.

(١) أراد ليس ورائي، إن سلمت، أن أهون وأدب على العصا.

(٢) يقول أنا مرتهن في البيت لا أبرح قعره. أهدج: يقال هـج يهدج وهو تدارك الخطر.

الرأل: فرخ النعام، فيقول: أنا منحن كأني فراخ النعام.

(٣) أقيموا أي وجهوا في الغزو وانصبوا له.

الهزل: الضعف والجوع.

(٤) منبت الأثل: مكانها في الجبال، لأن الأثل إنما تنبت بالجبل.

يقول عروة: المكان الذي تطلب فيه الغارة وهو منبت الأثل والهمة هناك.

فلو كنت مثلوج الفؤاد، إذا بدت رجعت على حرسين، إذا قال مالك: لعل انطلاقي في البلاد وبغيتي، سيدفعني، يوماً، إلى رب هجمة، قليل تواليها، وطالب وترها، إذا ما هبطنا منهاً في مخوفة، يقلب، في الأرض الفضاء، بطرفه، بلاد الأعادي، لا أمراً ولا أحلي^(٥) هلك، وهل يلحى، على بغية، مثلي^(٦) وشدي حيازيم المطية بالرحل^(٧) يدافع عنها بالعقوي وبالبحل^(٨) إذا صحت فيها بالفوارس والرجل^(٩) بعثنا ربيثاً، في المرابىء، كالجدل^(١٠) ومن مناخات، ومرجلنا يغلي^(١١)

(٥) فلو كنت مثلوج الفؤاد: يقال بات مثلوج الفؤاد من الهم أي بارد الفؤاد ليس له حرارة، ولا قوة. لا أمر ولا أحلي: من المرارة والحلاوة، وهو مثل معناه: لا خير عنده ولا شر ولا نفع ولا ضرر.

(٦) يعني مالك بن حمار الفزاري حين قال له: لو رجعت على حرسين فأقمت عند قومي قبل أن تهلك وتضل. وهل يلحى على بغية مثلي: أي وهل يلام على شيء يبغيه. حرس: واد بنجد، فقال حرسين لشيء آخر.

(٩) قليل: أي قليل من يتلوها لينجيها، لأننا نظردها ونسبق بها الناس.

(١٠) بعثنا ربيثاً: نراه في مرتبة منتصباً كأنه أصل شجرة لا يسرح موضعه. الربيء: الرقيب. المرابىء: مفردها مرباً وهو المكان الذي يقف فيه من يرقب.

(١١) يقول: يرمي ببصرة وقد أنخنا ونزلنا نطبخ وهو ينظرنا.

الأرض الفضاء: الواسعة التي لا جبل فيها.
حاشية:

يبدو أن عروة كان يخشى أن تمتد به حياة الفقر إلى شيخوخته، ولهذا سعى في طلب المال. ونلاحظ أن التمرد هنا نابع من سخط عروة على وجوده بعامه، حيث يتهدده العجز في شيخوخته، ولهذا فإنه يحاول من خلال هذا التمرد أن يحقق ثروة موفورة يحصل عليها عن طريق المجازفة وحتى يأمن ما يخشاه من عجز وفقر.

عودة إلى أصحاب الكنيف(*)

ألا إن أصحاب الكنيف وجدتهم
وإني لمدفوعٌ إليّ ولاؤهم،
كما الناس لَمَّا أخصبوا وتمولوا^(١)
بماوان، إذ نمشي، وإذ نتململ^(٢)
ينوس عليها رحلها ما يحلل^(٣)
وإذا ما يريح الحيَّ صرماء جونة،

(*) كان أمير الصعاليك عروة بن الورد، إذا أصابت الناس سنة شديدة وتركوا في دارهم الكبير والمريض والضعيف، يجمع أشباه هؤلاء من دون الناس من عشيرته، في الشدة، ويحفر لهم الأسراب، ويكنف عليهم الكنف، ويكسوهم. ومن قوي منهم إما مريض يبرأ من مرضه، أو ضعيف تثوب قوته، خرج به معه، فأغار وجعل لأصحابه الباقين في ذلك نصيباً. وذات يوم قيض له، وهو في (ماوان) رجل صاحب مائة من الإبل قدر بها من حقوق قومه، وذلك أول ما ألبن الناس، فقتله، وأخذ إبله وامراته، وكانت من أحسن الناس، فأتي بالإبل أصحاب الكنيف، فحلبها لهم وحملهم عليها، حتى إذا دنوا من عشيرتهم أقبل يقسمها بينهم وأخذ مثل نصيب أحدهم. فقالوا: لا واللات والعزى لا نرضى حتى نجعل المرأة نصيباً، فمن شاء أخذها.

فجعل بهم بأن يحمل عليهم فيقتلهم، ويتترع الإبل منهم، ثم يذكر أنهم ضيعته وإن فعل ذلك أفسد ما كان صنع، ففكر طويلاً ثم أجابهم إلى أن يرد عليهم الإبل، إلا راحلة يحمل عليها المرأة حتى يلحق بأهله، فأبوا ذلك عليه حتى انتدب رجل منهم فجعل له راحلة من نصيبه، فقال عروة بن الورد هذه الأبيات وقد تحكى مناسبة هذه الأبيات بشكل آخر ولكن المضمون واحد ولا خلاف عليه.

(١) الكنيف هو الحظيرة المصنوعة من الشجر، تحظر على الناس كما تحظر على الإبل، فتيقهم من البرد والريح.

(٢) ولاؤهم: محبتهم وصدقتهم. يقول عروة: أدركتهم بماوان وهم هزلى من شدة الجهد، فاستنفذتهم، فولأهم إليّ أي ينسبون إليّ، فيقولون: مولى عروة، وذلك قبل أن يخصبوا ويتمولوا، فلما قروا خاصمونني فإذا هم كالناس الأبعد ليس لهم شكر.

(٣) الصرماء على وزن فعلاء، أي المقطوعة الأخلاف ليذهب لبنها وتشتد قوتها. الجونة: الشديدة السواد، وهي الأم الإبل، ينوس: يتحرك. وصف القدر فشبهها بالناقة، وشبه الرحل بالأتافي التي توضع عليها القدر.

وأراد بقوله ما يحلل: أي ما تحول عن مكانه. يقول: الأحياء تروح عليهم بالعشيات إبلهم

موقعة الصفيقين حدياء، شارق،
عليها من الولدان ما قد رأيتم،
وقلت لها: يا أم بيضاء، فتية،
مضيغ من النيب المسان ومُسَخَّن
فإني وإياكم كذي الأم أرهنت
فلما ترجت نفعه وشبابه،
فباتت لحد المرفقين كليهما،
تقيد أحياناً، لديهم، وترحل^(٤)
وتمشي، بجنيها، أرامل عُيل^(٥)
طعائمهم، من القدر، المعجل^(٦)
من الماء، نعلوه بآخر من عل^(٧)
له ماء عينيها، تفدى وتحمل^(٨)
أتت دونها أخرى حديداً تكحل^(٩)
توحوح مما نابها، وتولول^(١٠)

وغنهم، والتي تروح علينا قدر سوداء يطبخ فيها اللحم كل عشية.

(٤) البصفقان: الجنبان، والشارق الكبيرة. يواصل عروة وصف القدر وتشبيهاً بالناقاة وهو تشبيه نابع من البيئة المعاشية للشاعر.
(٥) يقول عروة: ينزل على هذا القدر ويطيف بها من قد علمتم من النساء الضعيفات والصبيان والأرامل والأيتام.

العيل هو المفتقر المحتاج، ومفردها عائل على وزن فاعل.

(٦) يخاطب عروة في هذا البيت القدر وهي سوداء فكناها فقال: يا أم البيضاء. فتية: أي هؤلاء فتية.

(٧) المضيغ هو اللحم، النيب مفردها ناب وهي الناقاة المسنة، المسان: الكبيرة، المسخن هو المرق. يقول: كلما نضج اللحم مع المرق جددناه بآخر من فوقه ليكفي الجميع.

(٨) يخاطب أصحاب الكنيف، فيقول لهم: إني وإياكم كامراً لها ولد صغير، أرهنت له ماء عينيها، أي أدامته، فهي تفديه مرة، ومرة تحمله. وهي صورة جميلة بدون شك.

(٩) يقول عروة: فلما تم شبابه وأدرك نفعه، تزوج فغلبت الزوجة الأم على الإبن، فترك أمه من أجلها. وأراد بالحديد الزوجة.

(١٠) حد المرفقين: ضربهما، والمرفق هو الموصل بين الساعد والعضد.

توحوح: تصوت بصوت فيه بحة.

تولول: تعول وتدعو بالويل. ضرب هذه المرأة مثلاً لأصحاب الكنيف حين قالوا له: أعطنا المرأة أو أجعلها نصيباً واحداً.

تخير من أمرين ليسا بغبطة، هو الثكل، إلا أنها قد تجمل^(١١)
 قليلة شياء التي لست ناسياً، وليلتنا، إذ من، ما من، قرمل^(١٢)
 أقول له: يا مال! أمك هابل، متى حبست على الأفيح تعقل^(١٣)
 بديمومة، ما إن تكاد ترى بها، من الظم، الكوم الجلاذ تنول^(١٤)
 تنكر آيات البلاد لمالك، وأيقن أن لا شيء فيها يقول^(١٥)

-
- (١١) تخير من أمرين: أي من أمرين ليسا بخيره: إما أن يموت ابنها فتشقى منه امرأته، فتثكله، أو تصير على أن تكون امرأته آثر عنده منها. تجمل: أي تتجمل بالصبر.
- (١٢) أراد بليلة شياء: الداهية، كأنه وقع فيها، فمن عليه فرسه قرمل بالنجاة منها.
- (١٣) يا مال: نداء فيه ترخيم ليا مالك. الهابل: الشاكل، الأفيح: اسم موضع، تعقل: تحبس. ومعنى البيت غامض غير مفهوم بالنسبة لنا.
- (١٤) الديمومة: الفلاة الشاسعة، الكوم: مفردها كوماء على وزن فعلاء وهي الناقة الضخمة. الجلاذ: مفردها جليد على وزن فعيل صيغة مبالغة. تنول: تعطي نوالاً، أي لا تدر بلبنها.
- (١٥) آيات البلاد: معالمها. يقول: يدعى.

لبالب تحت السخال (٥)

أَيُّ النَّاسِ آمَنُ بَعْدَ بَلَجٍ وقرة، صاحبي، بذى طلال^(١)
أَلَمَّا أَغْزَرْتَ فِي الْعُسِّ بَرْكُ، ودَّرَعَةُ بَنْتَهَا، نَسِيًّا فَعَالِي؟^(٢)
سَمَنَ عَلَى الرَّبِيعِ فَهُنَّ ضَبَطُ لَهْنُ لِبَالْبُ تَحْتَ السَّخَالِ^(٣)

(*) هذه المقطوعة سببها كما قيل أنه قال لرجلين كانا معه في الكنيف يقال لهما (بلج) و (قرة) أصابا بعد ذلك وألينا، فأتاها عروة يطلب منهما العون والمساعدة ولكنهما رفضا ولم يعطياه شيئا فقال هذه المقطوعة يذكرهما.

- (١) ذو طلال: ماء قريب من منطقة الريدة.
(٢) أغزرت: حلبت حلباً كثيراً. برك ودرة: خزان. العس هو القدح الكبير.
(٣) يقول: أكلن الربيع فوافقهم فسمن عليه.
ضبط: أقوياء.
لبالب: حنين.
السخال: هو ولد العترة.

قيس يتمنى غربتي (٥)

تمنى غربتي قيسُ، وإنِّي
وصارت دارُنا شحطاً عليكم،
عليك السلمُ، فاسلمها، إذا ما
بأن يعيا القليل عليك، حتى
فإن الحربَ، لو دارتُ رحاها،
أخذتُ، ورائنا، بذنابِ عيشٍ،
لأخشى، إن طحا بك، ما تقول^(١)
وجف السيف كنت به تصول^(٢)
أواك له مبيتُ، أو مَقِيل^(٣)
تصير له، ويأكلك الذليلُ
وفاض العزُّ، واتبعَ القليل^(٤)
إذا ما الشمس قامت لا تزول^(٥).

(*) قال هذه الأبيات ليرد بها على قيس بن زهير وكان قد شتمه .

(١) طحا بك : ذهب بك .

(٢) جف السيف : غمده - يقول : إنك تتمنى غربتي وإنني لأخشى أن تتمنى مقامي عندك، إذا ضاقت بك الأرض ونزلت بك الشدائد والمعضلات .

(٣) السلم : أي الصلح .

(٤) فاض العز : انتشر .

اتبع القليل : أي أكل الضعيف .

(٥) ذناب العيش : طرفه - يقول : أخذت بطرف من العيش لأنك تتوقع الموت .

لا تزول : أراد إذا طاب عليك اليوم .

الدليل (٥)

إلى حكمٍ تناجل منسماها
ولم أسألك شيئاً قبل هاتي،
وكانت لا تلوم، فأرقتني،
وآست نفسها، وطوت حشاها

حصى المعزاء من كنفي حقيـل^(١)
ولكن على أثر الدليل^(٢)
ملا متها على دلّ جميل^(٣)
على الماء القراح مع المليل^(٤)

(*) قال هذه الأبيات يذكر الحكم بن مروان بن زيناع .

(١) تناجل : أي ترامي بالحصى - المعزاء : الأرض الغليظة ذات الحصى . كنفي : جانبي ، حقيـل : موضع .

منسماها : طرفا خفها .

(٢) يقول : ولم أسألك قبل اليوم ولكن على أثر الدليل أي وقد دلني عليك من يحمذك .

(٣) على دلّ جميل : أي أنها حسنة الدل في شكلها وهيئتها وجمالها .

(٤) وآست : أي صبرت نفسها - الماء القراح : الماء العذب الصافي الخالص من الشوائب .

المليل : الخبز الذي يمل .

دعيني أطوف

دعيني أطوف في البلاد، لعلي
أليس عظيماً أن تلم ملمة،
فإن نحن لم نملك دفاعاً بحادث،
أقيد غنى، فيه لذي الحق محمل^(١)
وليس علينا، في الحقوق، معول^(٢)
تُلمُّ به الأيام، فالموتُ أحمل

(١) أقيد غنى: أحصل على المال أو الغنائم.
الحق: الحزم.
المحمل: الجهد
(٢) أن تلم ملمة: أي تأتي شدة.

خلق الرجال

بنيت على خلق الرجال بأعظم خفاف، تشنى تحتهم المفاصل^(١)
وقلب جلا عنه الشكوك، فإن تشأ يخبرك، ظهر الغيب، ما أنت فاعل

(١) خلق الرجال: شيمهم وطبائعهم.

حاشية:

يقول عروة:

[بنيت على خلق الرجال بأعظم خفاف، تشنى تحتهم المفاصل
وقلب جلا عنه الشكوك فإن تشأ يخبرك ظهر الغيب ما أنت فاعل]

إن طبيعة الحياة التي عاشها الشعراء الجاهليون قد انعكست على رؤيتهم للإنسان، ومن ثم أصبح لديهم جملة من المعاني والقيم والأخلاق التي تتميز عن الإطار الذي قدم فيه السادة نماذجهم الإنسانية في شعرهم.

إن عروة ذو أعظم خفاف ذات مفاصل كثيرة الحركة، وقلب مبصر يعلم ما في الضمائر، ويكشف عن النوايا. إنه مع غيره من الصعاليك انموذج لإنسان متفرد وكأن الله خلقه كي يتمرد على وجوده وعلى غيره، ولا شك أن هذه البيئة المتفردة جاءت وليدة ظروف خاصة منها ما يتعلق بالرؤية الوجودية للزمن، ومنها ما يتعلق بعوامل طبيعية وأخرى اجتماعية، أما هذه الأخلاق والصفات المتفردة التي امتاز بها الصعلوك فإن أهمها: الإباء، والصبر، والقدرة على التحمل.

تبغى عداًء (*)

تبغى عداًء حيث حلت ديارُها،^(١) وأبناء عوفٍ في القرونِ الأوائل
فإلاً أنلُ أوساً، فإني حسبها بمنبطح الأوعالِ من ذي الشلائل^(٢)

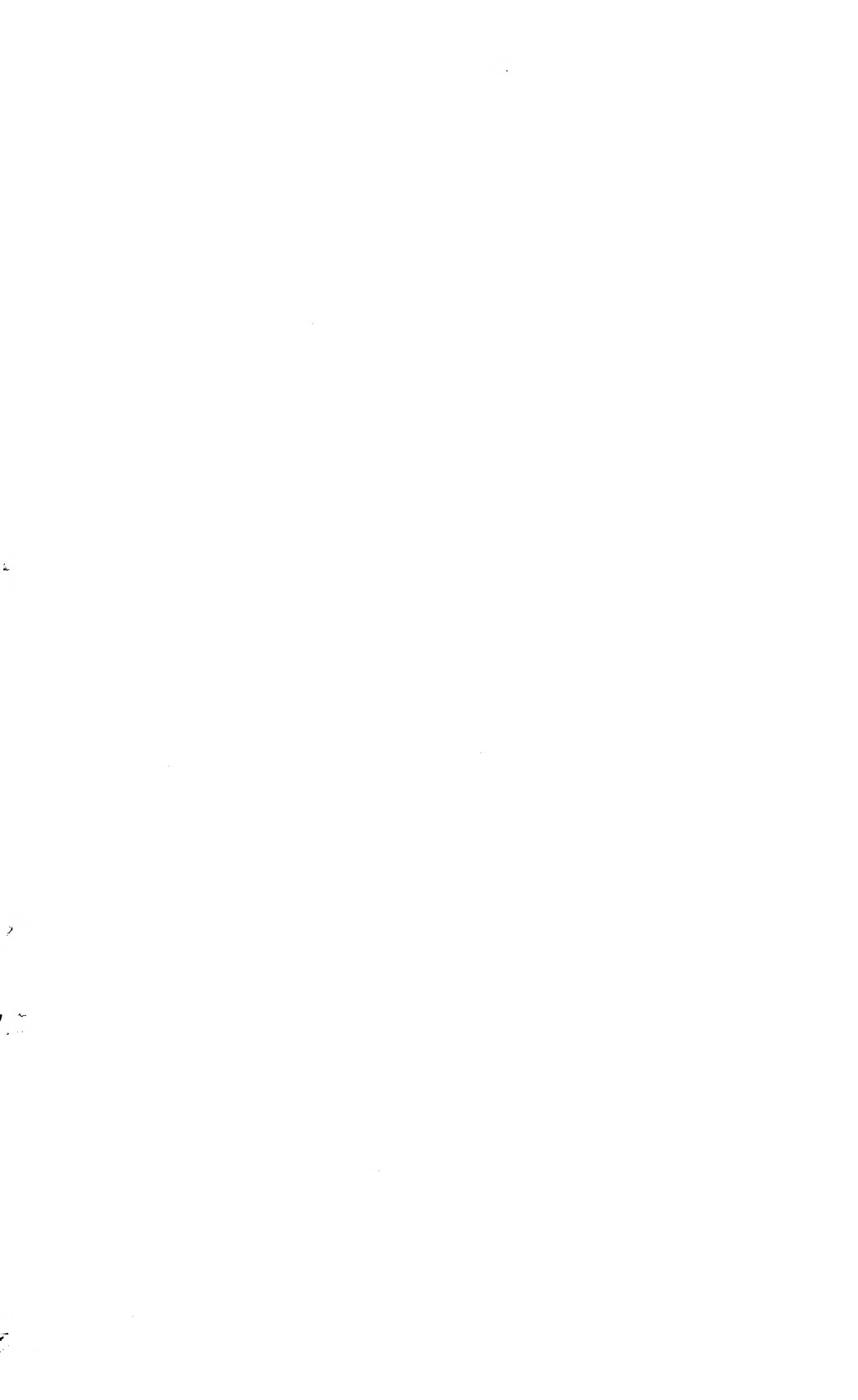
(*) يقال إن عروة أغار على بني مزينة، فأصاب منهم امرأة فاستاقها.

(١) تبغى: أطلب.

(٢) المنبطح: مكان الانبطاح، الإنطراح.

ذو الشلائل: موضع.

يقول عروة: فإن لم أنل ما أبتغيه من أوس، فإني لكفاء لها في منبطح تيوس الجبال من ذي الشلائل.



من أسانيد الدراسة والتحقيق

- ١ - محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني (ج ٢).
- ٢ - معجم الشعراء للمرزباني
- ٣ - المؤلف والمختلف للأمدي
- ٤ - الأغاني للأصفهاني (ج ٣) و (ج ٢١)
- ٥ - العقد الفريد لابن عبد ربه (ج ١)
- ٦ - مجموعة أشعار عروة بن الورد
- ٧ - شعراء النصرانية
- ٨ - جمهرة أشعار العرب للقرشي
- ٩ - شرح الحماسة للمرزوقي (ج ١)
- ١٠ - أعجب العجب في شرح لامية العرب
- ١١ - القاموس المحيط للفيروز أبادي مادة (صعلك)
- ١٢ - الأمالي لأبي علي القالي (ج ٢)
- ١٣ - تهذيب الكامل (ج ٢)
- ١٤ - ديوان حاتم الطائي
- ١٥ - ديوان الأعشي الكبير
- ١٦ - مراث وأشعار لليزيدي (مخطوطة بدار الكتب)
- ١٧ - الأدب والنصوص لمجموعة من الأساتذة والدكاترة: إبراهيم عابدين، يوسف

الحمادي، إحسان النص، شاعر الفحام، أبو الحسن إبراهيم، د. عبد الحميد طلب.

١٨ - الحياة العربية من الشعر الجاهلي (ط ٥) - د. أحمد محمد الحوفي

١٩ - الشعر والشعراء لابن قتيبة - (ج ٥)

٢٠ - النفس في الشعر الجاهلي - د. حسني عبد الجليل يوسف

٢١ - المواقف الإنسانية في الشعر الجاهلي - د. حسني عبد الجليل يوسف.

٢٢ - الاغتراب - د. محمود رجب.

٢٣ - الزمان والمكان وأثرهما في حياة الشاعر الجاهلي، د. صلاح عبد الحافظ.

٢٤ - الشعراء الصعاليك، د. يوسف خليف.

٢٥ - الغربة في الشعر الجاهلي، د. عبد الرازق الخشروم.

٢٦ - حول الأديب والواقع، د. عبد المحسن طه بدر.

القاهرة في: ١٥ / يناير / ١٩٩٢ م.

محتويات الكتاب

٧	القسم الأول : دراسات وإيضاحات
٩	أمير الصعاليك ، رحلة حياة
١٥	عروة بن الورد في تراثنا الأدبي
٢١	حول الديوان وخطة التحقيق
٢٣	في العصر الجاهلي عاش عروة بن الورد
٣٣	حول الصعلكة والصعاليك
٤٣	القسم الثاني : ديوان عروة بن الورد
٤٥	قافية الباء
٤٩	قافية التاء
٥١	قافية الحاء
٥٦	قافية الدال
٦٢	قافية الراء
٨٠	قافية العين
٨٧	قافية الفاء
٨٩	قافية اللام